
كتاب الهلال
سلسلة ثقافية شهرية
شعراء المجون
صالح جودت

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : يوسف السباعى

رئيس التحرير : صالح جودت

المشرف الفنى : جمال قطب

سكرتير التحرير : عايدة عياد

العدد ٢٦٤ ـ شوال ١٣٩٢ ـ ديسمبر ١٩٧٢

No. 264 — Decembre 1972

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادي البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ ـ فى سائر أنحاء العالم ٥ر٥ دولارات أمريكية أو ٢ جـك ـ والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية • فى الخارج بشيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية ـ والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل عند الطلب على الاسعار المحددة ..

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغلاف بريشة
الفنان جمال قطب

صالح جودت



دار الهلال

روحوا القلوب ساعة بعد ســـــاعة ،
فـــــان القلوب اذا كلت عميـــــــت
« حديث شريف ».



ابن الحجاج

على نحت القوافي من معادنهـــــا
وما على اذا لم تفهم البقـــــر ؟

هو الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر المعروف بابن الحجاج . وقد تولى حسبة بغداد الى أن عزل منها لفرط مجونه .

ويقول عنه مؤرخو الادب انه شاعر مفلق ، وقد جعلوه فى مرتبة امرىء القيس ، وقالوا : ولم يكن بينهما من هو مثلهما ، وان كان جل شعرة فى المجون.

أما ياقوت ، فيكره ابن الحجاج الي حد انه كان يود لو أنه لم يذكره فى معجمه ، ويقول : لولا قول ابراهيم لابن المهدى ان جد الادب جد ، وهزله هزل ، لصنت كتابى هذا عن مثل هذا المجون ..

والواقع ان أكثر شعر ابن الحجاج مما تعف عن ذكره الاقلام والالسنة . ولكن لا سبيل مع هذا الى انكار ان ابن الحجاج كانت له طريقته الخاصة فى خلاعته ومجونه ، لم يسبقه اليها أحد ، وان ألفاظه تتميز بالعذوبة والسلاسة .

وقد مدح الملوك والامراء والوزراء ، فلم تكن هيبتهم بمانعته من التبسط معهم الى حد الهزل دون أن يغضبوا عليه ، بل انهم كانوا يتقبلون هـــــذا منه بالاحسان والانعام .

وحسبك منه أن تقرأ بعض مدحته فى الامير عز الدولة بختيار ، لتعجب من استحسان الامير لمثل هـــــذه المدحة :

فديت وجـه الامير من قمـر
يجلـو القـذى نوره عن البصر
فـديت من وجهـه يشـككنى
فى انه من ســـلالة البشر
أن زليخــا لو أبصرتك لمـا
ملت الى الحشر لذة النظر (١)
ولم تقس يوسـفا اليـك كما
نجم السهى لا يقـاس بالقمـر
وكان يا سيـدى قميصـك ان
هربت منهـا ينقـد من دبر
بل وحيـاتى ، لو كنت يوسفها
لم تك من تهمـة العزيز برى
لأننى عـالم بأنك لــو
شـممت ريا نسـيمها العطر
سـبقتها وانزلقت تتبعهــا
ما بين تلك البيـوت والحـجر

ويمضى بعد ذلك فى مدح سوأة زليخا وسوأة الامير، والامير يسمع ويبتسم !

***

وكان له كثير من الهجاء ، منه قوله فى بعض من لم يحسنوا اليه :

---

(١) زليخا امرأة العزيز ، صاحبة القصة مع يوسف عليـه السلام ، وفى الابيات التالية اشـارات الى القصة .

قد قلت لما غدا مدحى فما شكروا
وراح ذمى فما بالوا ولا شعروا
على نحت القوافى من معـادنها
وما عـلى اذا لم تفهمِ البقـر

وان ابن الحجاج ليصف نفسه ، فى قصيدة لا تخلو من الفخر ، وان كان يعترف فيها بالسخف فى شعره . يقول عن نفسه :

رجـل يدعى النبـوة فى السخـ
ـف ، ومن ذا يشك فى الانباء
جـاء بالمعجزات يدعو اليهـا
فأجيبـوا يا معشر السخفـاء
حـدث السـن لم يزل يتلقى
علمـه بالمشـايخ الـكبراء
خاطر يصفع الفرزدق فى الشعـ
ـر ، ونحو . . . (١) أم الـكسائى
غير انى أصبحت أضيع فى القو
م من البـدر فى ليالى الشتاء

***

ثم يعتذر ـ فى قصيدة أخرى ـ عن هـذا التردى بمستوى الشعر ، بأنه لو أراد أن يتسامى لاستطاع ، ولـكنه يتبذل فى نظمه من أجل لقمة العيش. يقول :

بالله يا احمـد بن عمرو
تعرف للنـاس مثل شعرى ؟
شـعر يفيض الـكنيف منه

(١) الكلمة المنقوطة . فعل صريح

من جانبي خاطري وفكري
فلفظه منتن المعاني
كأنه فلتة بحجر
لو جد شعري رأيت فيه
كواكب الليل كيف تسري
وانما هزله مجون
يمشي به في المعاش امري

وهذا قول صدق .

فمن قليل شعره الجاد ، ندرك انه لو أمن غائلة الفقر لانقلب أمره ، فصار أكثره للجد واقله للمجون .

فمن جميل خمرياته :

يا صاحبي استيقظا من رقدة
تزري على عقل اللبيب الاكيس
هذي المجرة والنجوم كأنها
نهر تدفق في حديقة نرجس
وأرى الصبا قد غلست بنسيمها
فعلام شرب الراح غير مغلس ؟
قوما اسقياني قهوة رومية
من عهد قيصر دنها لم يمسس
صرفا تضيف اذا تسلط حكمها
موت العقول الى حياة الانفس

ومن جميل وصفه لفوارة (نافورة) عند أحد الامراء :

صنعت في دارك فوارة
اغرقت في الارض بها الانجما

فاض على نجم السـهى ماؤها
فأصبحت أرضـك تسـقى السما

***

وقد توفى ابن الحجاج سنة ٣٩١ هـ ، وأوصى بأن يدفن عند قدمى موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، وأن يكتب على قبره « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » . اذ هو شيعى المذهب . وقد نفذت وصيته ، ويقال ان بعض أصحابه رأوه فى المنام بعد وفاته ، فسألوه عن حاله ، فقال :

افسد سوء مذهبى
فى الشعر حسن مذهبى
لم يرض مولاى على
سبى لاصحاب النبى



ابن سَيابة

« لأن ألقى الله تبارك وتعالى
بذل المعاصى ، فيرحمني ، احب
الي من ان القاه التبختر
ادلالا بحسناتي ، فيمقتني »

اسمه ابراهيم بن سيابة ، من موالى بنى هاشم . وكان ماجنا خليعا حاضر النكتة ، يحب أهل الغناء ، ويمدح ابراهيم الموصلى وابنه اسحق ، فيجزيانه بأن يغنيا بعض شعره أمام الخلفاء ، فيناله من ذلك بعض الخير .

وكان مخنثا منحلا زنديقا .

ومن وقائعه مع بشار بن برد ، انه جاءه يوما يقول له : ما رايت أعمى قط الا وقد عوض من بصره : اما الحفظ والذكاء ، واما حسن الصوت ، فأى شيء عوضت ؟

فقال بشار : ألا ارى ثقيلا مثلك !

ويروى ان ابن سيابة لقى ذات يوم غلاما أمرد ، فغمزه ، فاستجاب له الغلام ومضى معه الى بيته ، فأكلا وشربا ، ثم قال له الغلام : انت يا ابن سيابة زنديق ؟

قال : نعم ...

قال : أحب أن تعلمني الزندقة ...

قال : افعل ، وكرامة ...

ثم هم به ، فصاح به الغلام : ماذا تفعل ؟

قال : أعلمك الزندقة ، وهذا أول باب فى شرائعها.

***

وكان ابن سيابة فى طريق ، فلقى غلاما أمرد يعرفه ، ومع الغلام جارية مغنية ، اسمها رحاص ، تحب الغلام. فتلكأ ابن سيابة ، حتى سلم على الغلام ، وقبله قبلة تحمل الريبة ، فسبته الجارية سبا شديدا ، ثم هجره الغلام بعد ذلك . فقال ابن سيابة يلوم الغلام على هجره :

قل للذى ليس لى من
يدى هواه خلاص
أئن لثمتك سرا
فأبصرتنى رحاص
وقال فى ذاك قوم
على انتقاصى حراص
هجرتنى وأتتنى
شتيمة وانتقاص
فهاك فاقتص منى
ان الجروح قصاص

وعوتب ابن سيابة على مجونه ، فقال لمعاتبيه : ويلكم ، لأن ألقى الله تبارك وتعالى بذل المعاصى فيرحمنى ، احب إلى من أن القاه اتبختر ادلالا بحسناتى فيمقتنى !

***

ولابن سيابة لمحات شعرية لطيفة ، وان لم تصل به الى مكانة بين شعراء عصره .

من ذلك انه عشق جارية سوداء ، وقال يسوغ هذا اللون من العشق ، وهو معنى مألوف عولج من قبله ومن بعده ، وان كان ابن سيابة قد أحسن صياغته :

يكون الخال فى وجه قبيح
فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام مفتون على من
يراها كلها فى العين خالا

وله فى استعطاف الفضل بن ربيع ، عندما سخط عليه لكثرة مجونه :

ان كان جرمى قد أحاط بحرمتى
فأحط بجرمى عفوك المأمولا
فكم ارتجيتك فى التى لا يرتجى
فى مثلها أحد فنلت السولا
وضللت عنك فلم أجد لى مذهبا
ووجدت حلمك لى عليك دليلا

فلما قرأها الفضل دمعت عيناه ، ورضى عنه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .



ابن لنكك

نعيب زماننا ، والعيب فينـــــا
ولونطق الزمان اذن هجـــــانا

هو محمد بن محمد بن جعفر، أبو الحسن ، المعروف بابن لنكك البصري .

كان صدر ادباء البصرة في زمانه ، ولعله أراد ان يكون من فحول شعراء العربيـــة ، ولـكن القدر ســد عليه الطريق ، بأن ظهــر في عصره شــاعران أولى منه بكل مكانة ، ارتفع نجمــاهمــا ، وملأ شــعرهما الاســماع والابصــار ، همــا أبو رياش اليمــامى ، وأبو الطيب المتنبى .

ولم ترق موهبته الى مستوى عبقريتهما ، فلم يجد من سبيل يظهر به ضوؤه ولو خافتا في ســماء نورهما المبهر ، الا ان ينقلب عليهما فيهجوهما ويعدد مثالبهما ويقف حياته على هــذا الدرب ، ويتجاوزهما في بعض الاحيان الى شكوى زمانه ، وهجاء سائر شعراء عصره .

وشعره في كل هـــذا لا يزيد في أكثر الاحيان على البيتين أو الثــلاثة ، مما يدل على انه لم يكن مهيــأ للفحولة ، وان كان مهيأ للمجون .

فمن قوله في شكوى الزمان :

نحن والله في زمان غشـــــوم
لو رأينــــاه في المنـــام فزعنــا
يصبح الناس فيه من سوء حال

حقّ من مات منهمو أن يهنا

ومنه :

جار الزمان علينا في تصرفه
وأى دهر على الاحرار لم يجر ؟
عندى من الدهر ما لو ان أيسره
يلقى على الفلك الدوار لم يدر

ومنه :

نحن من الدهر فى أعاجيبا
فنسأل الله صبر أيوبا
اقفرت الارض من محاسنها
فابك عليها بكاء يعقوبا

وهكذا ترى فى هذه الابيات الستة ان معانيها كسائر اقوال الناس فى شكوى الزمن ، الا البيت الثانى من المقطعة الثانية ... فهو وحده الذى يرقى الى مستوى الجدة .

وكان يحنق اذا كان فى مجلس تردد فيه مدح سواه من أهل الادب والفضل ، ويقول :

زمان قد تفرغ للفضول
وسود كل ذى حمق جهول
فان أحببتمو فيه ارتفاعا
فكونوا جاهلين بلا عقول

***

ومع قلة ذكره ، فان له أبياتا مفردة سارت على السنة الناس حتى عصرنا هذا ، كالبيتين الاولين فى هذه المقطعة :

يعيب الناس كلهم الزمانا
وما لزماننا عيب سوانا

نعيب زماننا والعيب فينا
ولو نطق الزمان ، اذن هجانا
ذئاب كلنا فى زى ناس
فسبحان الذى فيه برانا
يعاف الذئب يأكل لحم ذئب
ويأكل بعضنا بعضا عيانا

***

أما قوله فى هجاء الشاعر أبى رياش اليمامى ، فكثير من أقبحه قوله :

نبئت ان أبا رياش قد حوى
علم اللغات وفاق فيما يدعى
من مخبرى عنه ، فانى سائل
من كان حنكه ب . . . الاصمعى (١)

ولكنه خص المتنبى بنصيب أوفر من أهاجيه ، لإن المتنبى كان ألمع نجما من اليمامى ، وأطفأ منه لضوء ابن لنكك .

قال فيهُ معرضا بتسميته « المتنبى » وبحظوته عند أصحاب النعمة :

ما أوقح المتنبى
فيما حكى وادعاه
ابيح مالا عظيما
حتى أباح قفاه
يا سائلى عن غناه
من ذاك كان غناه
ان كان ذاك نبيا
فالجاثليق اله (٢)

---

(١) الكلمة المنقوطة ، سوأة الرجل .
(٢) الجاثليق : رئيس الاساقفة .

وقال فى هجائه معرضا بأبيه ، اذ كان أبوه سقاء بالكوفة :

قولا لأهل زمان لا خلاق لهم
ضلوا عن الرشد من جهل به وعموا
اعطيتم المتنبى فوق منيته
فزوجوه برغم أمهاتكمو
لكن بغداد جاد الغيث ساكنها
نعالهم فى قفا السقاء تزدحم

ومن أقبح قوله فيه هذان البيتان :

متنبيكم ابن سقاء كوفا
ن ، ويوحى من الكنيف اليه
كان من فيه يسلح الشعر حتى
سلحت فقحة الزمان عليه

***

على انه لم يترك أحدا من أهل العلم والادب والفضل فى زمانه الا هجاه كما أسلفت القول .

قال يهجو علماء الفقه :

اقول لعصبة بالفقه صالت
وقالت : ما خلا ذا العلم باطل
اجل لا علم يوصلكم سواه
الى مال اليتامى والارامل

وقال يهجو الشاعر الرملى ، وكانت بينهما خصومة :

حلف الرملى فيما
قص عنه وحكاه
يدعى يوم اصطلحنا

أننى قبـــلت فــاه
لم أقبـل فاه ، لـكن
قبلت نعلى قفـــــاه

***

وقال يهجو المبرمان النحوى :

صـــداع من كلامك يعترينـــا
وما فيــه لمستـــمع بيــــان
مكابرة ومخرقـــــة وبهت
لقـــد أبرمتنـــا يا مبرمان

***

وأخيرا ... هجا أهل زمانه جميعا ، وقال فيهم :

مضى الاحـــرار وانقرضــوا وبادوا
وخلـفنى الزمان عــلى علوج (١)
وقالوا قــد لزمت البيت جــدا
فقلت : لفقـــد فائدة الخروج
فمـــن الـقى اذا أبصرت فيهـــم
قرودا راكبـــين على الســـروج
زمان عز فيـــــه الجود حتى
كأن الجود فى أعلى البروج ! ..

---

(١) العلج ، العير ، والحمار ، من كفار العجم .



ابن المعذل

اي ماء لحـــــر وجهك يبقى
بين ذل الهوى وذل الســـؤال

هو عبد الصمد بن المعذل ، ويكنى أبا القاسم .

وهو شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية ، بصري المولد والنشأة .

وكان هجاء خبيث اللسان .

وكان أخوه أحمد بن المعذل شاعرا أيضا ، الا انه كان عفيفا ، ذا مروءة ودين وتقدم في المعتزلة ، وله جاه واسع في بلده وعند سلطانه لا يقاربه فيه عبد الصمد ، ولهذا كان هـذا يحسده ويهجوه ، فيحلم أحمد عنه .

على ان عبد الصمد ـ برغم مجونه ـ كان أشعر من اخيه .

وكان أبوهما المعذل ، وجدهما غيلان ، شاعرين أيضا . ومن شعر أبيهما قوله :

الى الله أشكو لا الى الناس انني
أرى صالح الاعمال لا أستطيعها
أرى خلة في اخوة وأقارب
وذي رحم ما كان مثلي يضيعها
فلو ساعدتني في المكارم قدرة
لفاض عليهم بالنوال ربيعها

وكان أبوهما المعذل هجاء كابنه عبد الصمد . هجاه ابان اللاحقي يوما ، قائلا :

كنت أمشى مع المعـــذل يوما
ففسا فسوة فكدت أطـــير
فتلفت هـــــل أرى ظربانا
من ورائى والارض بى تستدير (١)
فاذا ليس غيره ، واذا اعـ
ـصار ذاك الفساء منه يفور
فتعجبت ثم قلت : لقد أعـ
ـرف ، هذا فيما أرى خنزير

فأجاب المعذل قائلا :

صحفت أمك اذ سمتك فى المهـد أبانا
قد علمنا ما أرادت ، لم ترد الا أتانا
صيرت باء مكان التاء والله عيانا
قطع الله وشيكا من مسميك اللسانا

***

ونعود الى عبد الصمد بن المعذل ، فنقول انه على قلة دينه ، وفساد سيرته ، وميله الى الغلمان ، كان يكثر من هجاء الزناة واتهامهم بالمعصية .

من ذلك أن شروين المغنى ، وقد كان حسن الصوت والضرب ، كان يعشق النساء ، ولا يبلغ فى غنائه الاوج الا اذا شاهد امرأة ، ولهذا كان من يحبون أن يسمعوه ، يجيئون بجويرية ســـوداء ، تطالعه وتلوح له بخرقة حمراء ، ليظنها امرأة تطالعه . فكان حينئذ يحسن الغناء . فغضب عليه عبد الصمد فى بعض الامـــور ، فقال يهجوه :

من حـل شروين له منزلا
فلتنهـه الاولى عن الثـانيه
فليـس يدعـوه الى بيتـه

---

(١) الظربان : حيوان صغيرنتن يقال انه اذا فسا فى ثوب لم تذهب رائحته حتى يبلى .

الا فتى فى بيته زانيه

وكان فى البصرة رجل من الزناة ، وكانت امراته تزنى هى الاخرى ، فقال عبد الصمد يخاطبها :

ان كنت قد صفرت أذن الفتى
فطالما صفر آذانا
لا تعجبى ان كنت كشخنته
فانما كشخنت كشخانا

والكشخان هو القواد

***

ومن رقيق غزل عبد الصمد ، هذا القول فى فتى من أصدقائه عشق جارية حلوة :

لسان الهوى ينطق
وشاهده يصدق
لقد نم هذا الهوى
عليك وما يشفق
اذا لم تكن عاشقا
فقلبك لم يخفق ؟ ..
ومالك اما بدت
تحار فلا تنطق ؟ ..
أشمس تجلت لنا
ام القمر المشرق ؟ ..

***

وكان عبد الصمد يعشق فتى من المغنين ، يقال له احمد ، فغاضبه الفتى وهجره ، فقال فيه :

سل جزعى مذ صددت عن حالى
هل خطر الصبر على بالى
لا غير الله سوء فعلك بى
ان كنت أعتبت فيك عذالى
ولا ذممت البكا عليك ولا

حمدت حسن السلو من سالى
لو كنت أبغى سواك ما جهلت
نفسى ان الصدود أعفى لى

***

ومن لطيف شعره فى وصف بستان له كان هامرا بالطيبات :

اذا لم يزرنى ندمانيه
خلوت فناديت بستانيه
فنادمته خضرا مؤنقا
يهيج لى ذكر أشجانيه
يقرب مفرحة المستلذ
ويبعد همى وأحزانيه
ارئ فيه مثل مدارى الظباء
فظل لاطلائها حانيه (١)
ونور أقاح شتيت النبات
كما ابتسمت عجبا غانيه
ونرجسه مثل عين الفتاة
الى وجه عاشقها رانيه

وكان كثير الهجاء لشعراء زمانه . وكان هو والجماز يتهاجيان ، فيشمت أبو قلابة الجرمى فى عبد الصمد ، ويستزيد الجماز من الهجاء ، فقال عبد الصمد يهجو أبا قلابة :

يا من تركت بصخرة
صماء هامته أميمه (٢)
ان الذى عاضدته
أشبهته خلقا وشيمه
وكفعل جسدتك الحديثة

---

(١) المدارى : قرون الظباء ـ والاطلاء جمع طلا ، ولد الظبى
(٢) الاميم : المشجوج الراس .

فعـــــل جـدته القـديمه
فتنـــاصرا ، فابن اللئيـ
ـمة ناصر لابن اللئيمــــه

***

واجتمع أبو تمام الطائى وعبـد الصـمد فى مجلس فتلاحيا ، وكان عبد الصمد سريعا الى الشعر ، وأبو تمام بطيئا اليه .

قال عبد الصمد يهجو صاحبه :

أنت بين اثنتين تبرز للنـا
س ، وكلتاهما بوجه مذال (١)
لست تنفك طالبـا لوصـال
من حبيب ، أو طالبا لنوال
اى ماء لحر وجهك يبقى
بين ذل الهوى وذل السؤال

فتأنى أبو تمام ، وخلا طويلا ، ثم قال :

أفى تنظم قول الزور والفند
وأنت أنزر من لاشىء فى العدد (٢)
أشرجت قلبك من بغضى على حرق
كأنها حركات الرمح فى الجسد (٣)

***

ولما كبر عبد الصمد تاب ، وقال فى توبته ، وهى عن عجز :

هجرت الصـبا أيما هجرة
وعفت الغوانى والخمـــرة
طوتنى عن وصـلها سـكرة
بكأس الضنى أيما سـكرة

(١) المذال : المهان . (٢) الفند : الكذب
(٣) أشرجت : شددت الحقيبة بخيط او نحوه .



ابن مناذر

... وكان يرسل العقارب في المسجد بالبصرة حتى تلسع الناس ، وكان يصب المداد بالليل في ماء الوضوء بالمساجد حتى يسود وجوه المصلين !..

هو محمد بن مناذر ، كان مولى سليمان القهرماني ، وكان سليمان هذا مولى عبيد الله بن أبى بكرة ، وكان عبيد الله هذا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فابن مناذر ، اذن ، مولى لمولى لمولى !

ثم ادعى ابو بكرة انه ثقفى ، وادعى سليمان انه تميمى ، وادعى ابن مناذر انه من بنى صبير بن بربوع. فهو مولى دعى ، لمولى دعى ، وهذا نسب لم يعرف احط منه فى تاريخ العرب !

وهذا سر ما تراكم فى نفسه من العقد ، فكان فى اول امره ناسكا ، ثم ترك هذا وهجا الناس ، وتهتك ، وكثر تهتكه ، وان ابا الفرج الاصبهانى ليعجب منه كيف بدأ بالنسك والتأله ، ثم انتهى الى مثل هذا القول متغزلا فى امرد فى مسجد ، يريد أن يظفر به :-

الا يا قمر المسجد هل عندك تنويل ؟
شفانى منك أن نولتنى ، شتم وتقبيل
سلا كل فؤاد وفؤادى بك مشغول
لقد حملنى حبك ما لا يحمل الفيل

وابن مناذر شاعر فصيح ، متقدم فى العلم باللغة ،

امام فيها ، اخذ عنه كثير من اللغويين ، وقد صحب الخليل بن أحمد وأبا عبيدة ، واخذ عنهما علوم الادب واللغة والعروض ، وله معرفة بالحديث .

ولكن يحيى بن معين حذر الناس من رواية الحديث عنه ، وقال : لا يروى عنه من فيه خير .

فقيل له : وما تعرف عنه ؟ ..

قال : أعرفه ... كان يرسل العقارب فى المسجد بالبصرة حتى تلسع الناس ، وكان يصب المداد بالليل فى ماء الوضوء بالمساجد حتى يسود وجوه المصلين .

ولما أسرف فى تهتكه ، وعظته المعتزلة ، فلم يتعظ ، فزجروه ، فهجاهم وقذفهم حتى نفى عن البصرة الى الحجاز الى آخر عمره .

ويروى عنه انه لما وقع مع المعتزلة فتوعدوه ومنعوه من دخول المسجد ، هددهم بقوله ، وفيه اصرار على انتسابه كذبا الى بنى بربوع :

أبلغ لديك بنى تميم مألكا
عنى ، وعرج فى بنى بربوع (١)
انى أخ لكمو بدار مضيعة
بوم وغربان عليه وقوع
يا للقبائل من تميم ، مالكم
روبى ، ولحم أخيكمو مقطوع (٢)
واذا تحزبت القبائل صلتمو
بفتى لكل ملمة وقطيع
هبوا له ، فلقد أراه بنصركم
يأوى الى جبل أشم منيع
ان أنتمو لم توتروا لأخيكمو (٣)

---

(١) مألكا : رسالة .
(٢) الروبى : الذين ارهقهم السير فثقل نومهم
(٣) توتروا : تفزعوا وتأخذوا ثاره .

حتى يبــــاء بوتره المتبــــوع
فخذوا المفــازل بالاكف وايقنــوا
ما عشتمو بمذلة وخضـــــوع
ان كنتمو حــربا على أحســابكم
سمعا ، فقد أسمعت كل سميع

***

وكان مر اللسان ، حتى لقد خشيه أبو العتاهية ، الذى سأله يوما : كيف أنت فى الشعر ؟ ..

فقال ابن مناذر : أقول فى الليــلة عشرة ابيات الى خمسة عشر .

فقال أبو العتاهيــة : أما أنا ، فلو شئت ان أقول فى الليلة ألف بيت لقلت .

فحنق ابن مناذر ، وراجع ذاكرته فى أضعف شعر أبى العتاهية ، ثم قال له : أجل والله ، لانك تقول :

ألا يا عتبــة الســاعه
أموت الســاعة الساعه

وتقول :

يا عتــــب مالى ولك
يا ليتـــــنى لم أرك

وانا أقول :

ســتظلم بغــداد ويجلــو لنــا الدجى
بمكة ما عشنـــــــــا ثلاثة أبحر
اذا وردوا بطحــــاء مكة أشـــــرقت
بيحيى وبالفضـــل بن يحيى وجعفــر
فمـــــا خلقت الا لجود أكفهـــم
وأرجلهم ، الا لأعواد منبـــــــر

واستطرد يقول لأبى العتاهيــة : ولو أردت مثله ،

لتعذر عليك الدهر ، واني لا أعود نفسي مثل كلامك الساقط .

فخجل أبو العتاهية وانصرف .

ومن طرائفه انه التقى بيونس النحوى ، وكان أصل يونس هذا من مكان ضئيل الشأن اسمه « جبل » . فقال له متخابثا ، وكأنه يسأله فى النحو : أينصرف جبل أم لا ؟ فقال يونس : لقد عرفت ما أردت يابن الزانية !

وانصرف . ثم ذهب ابن مناذر فى اليوم التالى فجمع قوما ، وقال لهم ان يونس النحوى يجهل النحو، فكونوا شهودا .

وذهبوا اليه ، وكرر ابن مناذر سؤاله : هل ينصرف جبل ؟ ..

وعرف يونس ما أراد ، فقال : الجواب ما سمعته منى أمس ! ..

***

وكان له الى جانب كل هذا شعر حسن ، ولا سيما فى الرثاء .

ومن جميل رثائه لسفيان بن عيينة ، المحدث :

يجنى من الحكمة سفياننا
ما تشتهى الانفس ألوانا
يا واحد الامة فى علمه
لقيت من ذى العرش غفرانا
راحوا بسفيان على عرشه
والعلم ، مكسوين أكفانا

ومات ابن مناذر بمنفاه فى أرض الحجاز سنة ١٩٨هـ



ابودلامة

الم تعلما ان الخليفة لزني
بمسجده والقصر ... مالي وللقصر ؟
أصلي به الاولى جميعا وعصرها
فويلي من الاولى وويلي من العصر

هو أبو دلامة زند بن الجون .

وهو كوفى أسود ، وكان أبوه عبدا لأحد الصحابة من بنى أسد .

وكان أبو دلامة ماجنا ، مدمن خمر ، فاسد الدين، ردىء المذهب ،، مرتكبا للمحارم ، مضيعا للفروض ، مجاهرا بذلك كله . ولكن الخلفاء والناس كانوا يتجاوزون له عن ذلك للطفه وظرفه .

من ذلك أن أبا جعفر المنصور أمر أصحابه بلبس السواد ، وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها ، وأن يعلقوا السيوف فى المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم : « فسيكفيكم الله وهو السميع العليم » .

فدخل عليه أبو دلامة فى هذا الزى ، فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ ..

قال : شر حال ، وجهى فى نصفى ، وسيفى فى استى ، وكتاب الله وراء ظهرى ، وقد صبغت بالسواد ثيابى ...

فضحك منه وأعفاه وحده من هذا اللباس ، وسأله الا يكرر ما قال لتوه أمام أحد من الناس .

ومنه انه دخل على أم سلمة المخزومية ، امرأة الخليفة أبي العباس السفاح ، بعد وفاة زوجها ، فإذا هي متفجعة ، فبكى وبكت معه ، وأنشدها قصيدة في رثائه ، فقالت له : لم أر احدا أصيب به غيري وغيرك يا أبا دلامة .

فقال : ولا سواء ، يرحمك الله ، لك منه ولد وما ولدت أنا منه .

فضحكت ، ولم تكن ضحكت قبل ذلك ، وقالت : لو حدثت الشيطان لاضحكته .

ودخل أبو دلامة على المهدي يبكي ، فقال له : مالك ؟ قال : ماتت أم دلامة .

فأمر له بثياب وطيب ودنانير ، وخرج . فدخلت أم دلامة على الخيزران ـ زوجة المهدي ـ فأعلمتها ان أبا دلامة قد مات ، فأعطتها مثل ذلك . فلما التقى المهدي والخيزران ، عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان .

وكانت له دالة على المنصور ، والمنصور لا يرده . دخل عليه يوما فأنشده :

رأيتك في المنام كسوت جلدي
ثيابا جمة وقضيت ديني
فكان بنفسجي الخز فيها
وساج ناعم فأتم زيني (١)
فصدق يا فدتك النفس رؤيا
رأتها في المنام كذاك عيني

فأمر المنصور له بذلك ، وقال له : لا تعد أن تحلم علي ثانية ، فأجعل حلمك أضغاثا ولا أحققه .

---

(١) الساج : الطيلسان .

ثم خرج من عنده وشرب فى بعض الحانات فسكر ، وانصرف وهو يميل ، فلقيه العسس فأخذوه ، وقيل له : من أنت وما دينك ؟
قال :

دينى على دين بنى العبـــاس
ما ختم الطـين على القرطـاس
انى اصـطحبت أربعـا بالـكاس
فقـــد أدار شربهـــا براسي
فهل بما قلت لـكم من باس ؟

فأخذوه وخرقوا ثيابه وساجه ، وسـاقوه الى أبى جعفر الذى أمر بحبسه فى بيت الدجاج .

فلما أفاق ، ورأى ثيابه على هـذه الحال ، وهو فى بيت الدجاج ، سأل من الذى أمر بهذا ؟ .. فقيـل له أمير المؤمنين ، فـكتب له هذه الابيات :

أمير المؤمنـــين فدتك نفسى
علام حبستنى وخرقت ســاجى ؟
أمن صـــفراء صـــافيـة المزاج
كأن شـــعاعها لهب السراج
وقـد طبخت بنـار الله حتى
لقد صـارت من النطف النضاج
تهش لهـا القلوب وتشـتهيهـا
اذا برزت ترقرق فى الزجـاج ؟
أقاد الى الســجون بغير جرم
كأنى بعض عمـــال الخراج
ولو معهم حبست لـكان سهلا
ولـكنى حبســت مع الدجـاج
وقـــد كانت تخبرنى ذنوبى
بأنى من عقـــابك غير ناج

على اني وان لاقيت شـــــــــرا
لحيرك بعــد ذاك الشـــر راج

فدعا به ، وسأله : أين حبست يا أبا دلامة ؟ ..
قال : مع الدجاج . قال : فما كنت تصنع ؟ .. قال : أقوقي معهن حتى أصبحت .

فضحك المنصور ، وخلى سبيله .

وكان ذكيا في طلب الصـلات من الخلفاء ، تدل على ذلك حكايته مع أحد الخلفـاء ، اذ مثـل بين يديه ، فسأله الخليفة : سلني حاجتك .

قال : كلب أتصيد به . قال : اعطوه اياه .
قال : ودابة أتصيد عليها . قال : أعطوه .
قال : وغلام يصـــيد بالـكلب ويقوده ، قال : أعطوه .

قال : وجارية تصلح لنـا الصيـد وتطعمنا منه .
قال : أعطوه .
قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك ، فلا بد لهم من دار يسكنونها . قال : أعطوه دارا تجمعهم .
قال : فان لم تكن ضـيعة فمن أين يعيشون ؟ ..
قال : قد أعطيتك مائة جريب (١) عامرة ومائة جريب غامرة (٢) .

قال : قد أقطعتـك أنا يا أمير المؤمنين خمســمائة الف جريب غامرة من فيافي بني أسد .
فضحك الخليفة ، وقال : اجعلوها كلها عامرة !
ويردد الجاحظ هذه الحكاية ، ويقول : انظر الى

(١) الجريب شيء كالفدان .
(٢) غامرة : لا نبات فيها .

حذقه بالمسألة ولطفه فيها ، ابتدأ بالكلب فسهل القصة به ، وجعل يأتى بما يليه على ترتيب وفكاهة ، حتى نال ما لو سأله بديهة لما وصل اليه .

***

وقد أحسن أبو دلامة استغلاله لهذه الخلة فى الخلاص من أداء فروض الدين ، دون أن يقام عليه الحد .

فقد ذهب أحد الشانئين عليه الى أبى جعفر ، وقال له أن أبا دلامة عاكف على الخمر ، لا يحضر صلاة ولا يدخل مسجدا ، وقد أفسد فتيان العسكر ، فلو أمرته بالصلاة معك لكان لك عند الله أجرك فيه وفى فتيان عسكرك بقطعه عنهم .

فلما دخل أبو دلامة على أبى جعفر ، قال هذا له : يا ابن اللخناء ، ما هذا المجون الذى يبلغنى عنك ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، ما أنا والمجون وقد شارفت باب قبرى ؟

قال : دعنى من استكانتك وتضرعك ، واياك أن تفوتك صلاة الظهر والعصر فى مسجدى ، فلئن فاتتاك لأحسنن أدبك ولأطيلن حبسك .

فوقع فى الحظر ، ولزم المسجد أياما . ثم كتب قصته ودفعها الى المهدى فأوصلها الى أبيه المنصور . وكان فيها :

ألم تعلما ان الخليفة لزنى
بمسجده والقصر . . . مالى وللقصر؟ (١)
أصلى به الاولى جميعا وعصرها
فويلى من الاولى وويلى من العصر

---

(١) لزه : الزمه .

أصليهما بالكره في غير مسجدي ،
فما لي بالاولى ولا العصر من أجر
لقد كان في قومي مساجد جمه
سواه ولكن كان قدر على قدر
يكلفني من بعد ما شبت خطة
يحط بها عني الثقيل من ألوزر
وما ضره ، والله يغفر ذنبه
لو ان ذنوب العالمين على ظهري

فلما قرأ المنصور هذه الابيات ضحك ، وأعفاه من الحضور معه ، وأحلفه أن يصلى الصلاة في مسجد قبيلته .

***

ومن ذلك أيضا ان موسى بن داود اعتزم الحج ، وقال لأبي دلامة : احجج معي ولك عشرة آلاف درهم .

فقال : هاتها .

فدفعت اليه ، فأخذها وهرب الى السواد ، فجعل ينفقها هناك في شرب الخمر . فطلبه موسى فلم يعثر عليه ، وخشي فوت الحج ، فخرج بدونه .

فلما شارف القادسية ، اذ هو بأبي دلامة خارجا من قرية الى أخرى وهو سكران . فأمر بأخذه وتقييده وطرحه في محمل بين يديه . ففعلوا به ذلك . فلما سار غير بعيد ، أقبل على موسى وناداه :

يا أيها الناس قولوا أجمعون معا
صلى الاله على موسى بن داود
كأن ديباجتي خديه من ذهب
اذا بدا لك في أثوابه السود
اني أعوذ بداود وأعظمه

من أن أكلف حجا يابن داود
خبرت ان طريق الحج معطشة
من الشراب ، وما شربى بتصريد (١)
والله ما فى من أجر فتطلبه
ولا البناء على دينى بمحمود !

فقال موسى : « ألقوه لعنه الله ، عن المحمل ، ودعوه ينصرف » . فألقوا به ، وعاد الى حاناته حتى نفدت العشرة آلاف درهم .

وألطف ما نختتم به الحديث عن أبى دلامة ، تلك الحكاية التى تدل على براعته فى الهجاء ، حين هجا زوجته أم دلامة ، لفرض فى نفسه ، وكيف كانت أم دلامة هى الاخرى أذكى منه فى انتقامها .

حجت الخيزران ، زوجة المهدى . فلما حرجت ، صاح بها أبو دلامة : أيتها السيدة ، انى شيخ كبير ، وأجرك فى عظيم .

فسألته عما يريد ، فقال : تهبين لى جارية من جواريك تؤنسنى ، وترفق بى ، وتريحنى من عجوز عندى قد أكلت رفدى ، وأطالت كدى ، وقد عاف جلدى جلدها ، وتمنيت بعدها ، وتشوقت فقدها .

فضحكت الخيزران وقالت : سوف آمر لك بما سألت .

فلما عادت من الحج ذكرها بوعدها ، وخرج معها الى بغداد ، وأقام حتى مل ، فى انتظار الوعد .

ثم دخل على أم عبيدة ، حاضنة موسى وهارون ، فدفع اليها رقعة قد كتبها الى الخيزران ، قال فيها :

---

(١) التصريد : القطع .

أبلغي سيدتي بالله يا أم عبيده
انها ارشدها الله ، وان كانت رشيده
وعدتنى قبل أن تخرج للحج وليده
فتأنيت وأرسلت بعشرين قصيده
كلما أخلقن اخلقت لها أخرى جديده
ليس فى بيتى لتمهيد فراشى من قعيده
غير عجفاء عجوز ساقها مثل القديده
وجهها أقبح من حوت طرى فى عصيده

وقرأت الخيزران القصيدة وضحكت ، وبعثت اليه بواحدة من جواريها ، وعليها خير زينتها .

ولم يكن أبو دلامة فى البيت حين وصلت الجارية .

ورأتها أم دلامة ، فجعلت تبكى ، فدخل عليها ابنها دلامة ، فراعه بكاء أمه ، فسألها عن أمرها ؟ فقالت له : ان اردت أن تبرنى يوما من الدهر فاليوم .

فقال لها : قولى ما شئت ، فانى افعله .

قالت : تدخل على الجارية فتعلمها انك مالكها ، فتحرم على أبيك ، والا ، ذهبت بعقله فجفانى وجفاك .

وفعل الفتى ما ارادت أمه .

وجاء أبو دلامة ، وكان قد علم بمجىء الجارية ، فسأل عنها ، فأشارت أم دلامة الى مكانها ، فدخل عليها ، فارتاعت اذ هو شيخ محطم ذاهب . فمد يده اليها وهم بها يقبلها ، ففزعت منه قائلة : ويلك ، تنح والا لطمتك لطمة دققت منها أنفك .

قال : أبهذا أوصتك السيدة ؟

قالت : انها بعثت بها الى فتى من حاله وهيئته

كيت وكيت ، وذكرت له ما كان بينهـا وبين الفتى ، فخرج اليه فلطمه وعنفه وحلف الا يفارقه الا عند الخليفة

وأمسك بخناقه ، وجره حتى وقف به على باب المهدى ، فلما دخل به ، سأله المهدى عن أمره فقال : لقد عمل بى هذا ابن الخبيثة ما لم يعمل ولد بأبيه ، ولا ترضيني الا أن تقتله .

فضحك المهدى حتى استلقى . فقال أبو دلامة محنقا : أأعجبك فعله فتضحك منه ؟

قال دلامة : قد سمعت حجته يا أمير المؤمنين فاسمع حجتي . هذا الشيخ أصفق الناس وجها ، يأتى أمى منذ أربعين سنة ، وما غضبت . وآتى جاريته مرة واحدة ، فغضب وصنع بى ما ترى .

فضحك المهدى أكثر من ضحكه الاول ، ثم قال : دعها له يا أبا دلامة ، وأنا أعطيك خيرا منها .

ووهبه جارية أخرى خيرا من الاولى .



ابو العيناء

ان يأخذ الله من عيني نورهمـــــــا
ففي لساني وسمعي منهمـــــــا نور

هو محمد بن القاسم ، أبو عبد الله ، المعروف بابى العينـاء ، الاخبـارى الاديب الشاعر . ولد بالاهواز سنة ١٩١ هـ . وكان أعمى .

قيل ان جده الاكبر كان يلقى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فيسىء الخطاب اليه ، فدعا عليه بالعمى له ولولده من بعده . فكل من عمى من ولد أبى العيناء فهو صحيح النسب فيهم .

وناقش المبرد هذه الرواية ، وقال : ان أبا العيناء عمى بعد أن جاوز الاربعين وخرج من البصرة .

وكان أبو العينـاء من أظرف أهل الارض وأوفرهم ذكاء وسرعة جواب ، وكان يعرف ذلك فى نفسه ويقول :

ان يأخذ الله من عينى نورهما
ففى لسانى وسمعى منهما نور
قلب ذكى وعقل غير ذى خطل
وفى فمى صارم كالسيف مأثور

ويقال انه أصابه حول فى عينيـه قبـل أن يعمى ، فسأله أحدهم : أيهما أصلح : الحول أم العمى ؟ فقال : هما السقم الذى يجر الى الموت ، أو هما الزنا وتليه القوادة !

ومن جميل غزله وهو أحول ، قوله :

حمـــــدت الهى اذ بلانى بحبها

عليّ حول يغني عن النظر الشذر
نظرت اليهـــا والرقيب يظنني
نظرت اليــه فاسترحت من العـــذر

***

وله لطائف كثيرة تدل على ظرفه ، منها :

● انه شكا الى عبيد الله بن سليمان تأخر أرزاقه ، فقال له : ألم نكن كتبنا لك الى ابن المدبر ، فماذا فعل فى أمرك ؟ ..

قال : جرنى على شوك المطل ، وحرمنى ثمرة الوعد.

قال : أنت اخترته !

قال : وما على ، وقد اختار موسى سبعين رجــلا من قومه ، فما كان منهم رشيد ، فأخذتهم الرجفة . واختار النبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كاتبا ، فلحق بالمشركين مرتدا . واختـــار على بن أبى طالب أبا موسى الاشعرى حكما ، فحكم عليه لا له ؟ ..

● واعترف بأن ابنا صغيرا لعبد الرحمن بن خاقان أخجله ذات مرة وغلبه . اذ رآه أبو العيناء ذكيا لماحا ، فقال له : وددت لو أن لى ابنا مثلك .

قال الطفل : هذا بيدك .

قال أبو العيناء : كيف ؟ ..

قال : تحمل أبى الى امرأتك فتلد لك ابنا مثلى .

● وكانت بينه وبين محمد بن مكرم مداعبات كثيرة : أراد ابن مكرم مرة أن يعـــرض بالبصريين ، لان أبا العيناء من البصرة ، فقال له : كم عـــدد البـــخلاء فى البصرة ؟ فأجابه بقوله : كعدد أهل البغاء فى بغداد .

وقيل له : ما تقول فى محمد بن مكرم والعباس بن رستم ، فقال : هما الخمر والميسر ، اثمهما أكبر من نفعهما !

● وقال له ابن مكرم يوما : أحسبك لاتصوم رمضان.

فأجابه بقوله : ويلك ، وهل تدعنى امرأتك أصوم ؟ ..

● وبات ليلة عند ابن مكرم ، فجعل هذا يفسو ، فقام أبو العيناء فصعد السرير ، فارتفع اليه فساؤه . فصعد الى السطح ، فبلغته رائحته ، فقال : يا ابن الفاعلة ، ما فساؤك الا دعوة مظلوم .

● ومر أبو العيناء يوما بدار عدو له ، فسأل عن حاله ، فقيل له : كما تحب . قال : فما لى لا أسمع بكاء ولا عويلا ؟ ..

● وسرق لص حماره . فقالوا له : كيف سرق حمارك يا أبا العيناء ؟ .. قال : لم اكن مع اللص فأخبركم كيف سرق !

***

وكان أبو العيناء تاركا للصلاة والصيام . بل انه ليشهد على نفسه انه يستحل أن يمد يده الى ما ليس له ..

يقول : مررت يوما فى درب ببلدة سر من رأى ، فقال لى غلام : يا مولاى ، فى الدرب حمل سمين ، والدرب خال ، فأمرته أن يأخذه ، وغطيته بطيلسانى ، وسرت به الى منزلى . فلما كان الغد ، جاءتنى رقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها : « جعلت فداك . ضاع منا بالامس حمل ، فأخبرنى صبيان دربنا أنك أنت أخذته ، فهل تأمر برده متفضلا ؟ » . فكتبت اليه أقول : « سبحان الله ! ما أعجب هذا الامر ! مشايخ دربنا يزعمون أنك تدر بيتك للبغاء ، وأنا أكذبهم ولا أصدقهم . وتصدق أنت صبيان دربك انى آخذ الحمل ؟ » ...

قال أبو العيناء : فسكت الرجل ، ولم يعد الى طلب الحمل .

● ومر به سائل ، فدعاه أبو العيناء للطعام ، فأكل الرجل كل شيء ، فقال له : يا هذا ... دعوتك للطعام رحمة بك ، فدع لي شيئا آكله رحمة بي ..

● ودعاه قوم يوما الى طعام ، وجاءوا بقدر تحسسها أبو العيناء ، فلم يجد بها لحما ، بل كلها عظام ، فقال : ويحكم ... أهذه قدر أم قبر ؟

● وكان يتخذ خادمين أسودين . فسئل لم اتخذهما أسودين ؟ .. فقال : اما أسودان ، فلئلا اتهم بهما ، واما خادمان اثنان ، فلئلا يتهما بي !

***

وقصة خروجه من البصرة من أطرف قصص حياته . ذلك انه رأى في السوق غلاما يباع بثلاثين دينارا ، وهو يساوي في هيئته ثلثمائة ، فاشتراه .

وكان أبو العيناء يبني بيتا ، فأعطى الغلام عشرين دينارا ينفقها على العمال . فأدى لهم عشرة ، واشترى بالعشرة الاخرى لباسا لنفسه . فلما سأله في ذلك قال : ان أرباب المروءات لا يعتبون على غلمانهم هذا .

قال أبو العيناء في نفسه : ترى هل اشتريت الاصمعي ولم أدر ؟ ..

ثم أراد أبو العيناء أن يتزوج في السر امرأة دون أن تعلم ابنة عمه ، زوجته الاولى ، فاستودع الغلام سره ، وأعطاه دينارا لحفاظ السر ، وقال له : اشتر به سمكا وكله .

فأنفق الغلام الدينار ولم يشتر السمك ، فسأله أبو العيناء ، فقال الغلام : رأيت بقراط يذم السمك .

قال أبو العيناء في سره : أتراني اشتريت جالينوس ولم أدر ؟ ..

وأحب أن يؤدبه ، فضربه عشر مقارع ، فقام الغلام

الى المقرعة ، فضرب أبا العيناء سبعا ، وقال له : يا مولاي ، الادب ثلاث فقط ، ولهذا ضربتك سبعا قصاصا . فرماه أبو العيناء فشج رأسه ، فذهب الغلام الى زوجة أبي العيناء الاولى ، وروى لها قصة زواجه بالثانية ، فمنعته من دخول البيت ، حتى طلق الثانية .

وكره الغلام لا يكلمه ، واعتقه ، ولكن الغلام لم يبرح البيت . ثم أراد الحج ذات يوم ، فزوده بما يلزمه ، فسار وعاد بعد عشرين يوما ، وقال ان الطريق قد قطع .

ثم اراد أن يخرج للجهاد ، فجهزه أبو العيناء ، فما أن أدار ظهره ، حتى خشي أبو العيناء أن يعود ، فباع بيته ونزح عن البصرة .

***

كان أبو العيناء هجاء لم يصل الى حد الابتذال .

كان يكره الوزير أحمد بن الخصيب ، وكان هذا كثير الحماقة غبيا جاهلا ، اذا ناقش وغلب على امره ركل مناقشه .

قال أبو العيناء فيه ، يشكوه للخليفة :

قل للخليفة يابن عم محمد
أشكل وزيرك انه ركال
قد أحجم المتظلمون مخافة
منه وقالوا : ما نروم محال
ما دام مطلقة علينا رجله
أو دام للنزق الجهول مقال
قد نال من اعراضنا بلسانه
ولرجله بين الصدور مجال
امنعه من ركل الرجال وان ترد
مالا فعند وزيرك الاموال

وقال يهجو أسد بن جوهر :

تعس الزمان لقد اتى بعجاب
ومحا رسوم الظرف والآداب
وافى بكتاب لو انبسطت يدى
فيهم رددتهمو الى الكتاب
جيل من الانعام الا انهم
من بينها خلقوا بلا اذناب !

***

وفى قصائده كثير من الابيات المفردة التى تسير مسار الامثال ، كقوله :

ألم تعلمى يا عمرك الله انني
كريم على حين الكرام قليل
اذا كنت فى القوم الطوال فضلتهم
بطولى لهم حتى يقال طويل
ولا خير فى حسن الجسوم وطولها
اذا لم يزن طول الجسوم عقول
ولم أر كالمعروف ، أما مذاقه
فحلو ، وأما وجهه فجميل

***

وقد توفى أبو العيناء فى بغداد سنة ٢٨٣ هـ ، وله من العمر اثنتان وتسعون سنة .



ابو نواس

الم ترنى ابحـــت اللهـــو نفسى
ودينى ، واعتكفـــت على المعاصى ؟
كأنى لا اعـــود الى معـــاد
ولا أخشى هنـــالك من قصـــاص

أوشـك النهـار أو أكثره أن يمضي ، وابو نواس واصحابه من أهل المجون فى رحاب الجارية الغانيـة « عنان » يشربون ويسمرون ويضـحكون ، حتى اذا قاربت الشمس المغيب ، لم يشاءوا أن يجعلوا الليـل لباسا ، بل راحوا يفكرون أين يمضون ليلتهم عاكفين على ما هم فيه من أنس وشراب وفسوق ، وكل يدعو الى بيته .

فأقسمت « عنان » عليهم الا تكون الدعوة الا شعرا ، والا ، فما لهم الا أن ينزلوا على ما تقول ..

وهكذا بدأ الحوار ...

قال « الرقاشي » :

عـــذراء ذات احمـــرار
انى بهـــا لا أحاشى
قوموا نـــداماى رووا
مشـــاشـكم من مشـــاشى
وناطحونى كؤوســـــا
نطـــاح صـــلب الـكباش
وان نكلت ، فحـــل
لـــكم دمى ورياشى

وقال ابو نواس :

لا ، بل الى ثقاتى
قوموا بنا بحياتى
قوموا نلذ جميعا
بقول هاك وهات
فان أردتم فتاة
أتيتكم بفتاتى
وان أردتم غلاما
صادفتمونى مواتى
فبادروه مجونا
فى وقت كل صلاة

وقال الحسين الخليع :

أنا الخليع فقوموا
الى شراب الخليع
الى شراب لذيذ
وأكل جدى رضيع
ونيل أحوى رخيم
بالخندريس صريع
فى روضة جادها صو
ن غاديات الربيع
قوموا ننال جميعا
منال ملك رفيع

وقال الوراق :

عوجوا الى بيت عمرو
الى سماع وخمر
وساقيات علينا
تطاع فى كل أمر
هذا ، وليس عليكم
أولى ولا وقت عصر

وقال محكم بن رزين :

قوموا الى دار لهو
وظل بيت دفين
فيه من الورد والنر
جس والياسمين
وريح مسك زكي
وجيد المرزجون
قوموا فصيروا جميعا
الى الفتى ابن رزين

وقال الحسين الخياط :

قضت عنان علينا
بأن نزور حسينا
وأن تقروا لديه
بالقصف واللهو عينا
فما رأينا كظرف الـ
ـحسين فيما رأينا
قد قرب الله منه
زينا وباعد شينا
قوموا وقولوا أجزنا
ما قد قضيت علينا

وقالت عنان :

مهلا فديتك مهلا
عنان أحرى وأولى
بأن تنالوا لديها
أشهى نعيم وأحلى
فان عندى حراما
من الشراب وحلا
لا تطمعوا فى سوائى
من البرية كلا

يا سـادتى خبـرونى
أجـار حكمى أم لا ؟
فقالوا جميعا : أجزنا حكمك !
وقضوا الليلة عندها حتى الصبـاح ... وحتى الصبوح !

***

وقد أحببت أن أبدأ الحديث عن شيخ العابثين ، أبى نواس ، بهذه الصورة التى قد تكون حدثا فى حياة شاعر من شعراء عصرنا اذا وقعت له ـ وقلما تقع ـ ولـكنها كانت صورة من الصور المـألوفة كل ليلة فى حياة شاعرنا ، أبى نواس .

واسمه الحسن بن هانىء

وكان أبوه هانىء هذا جنـديا ، ثم اعتزل واشـتغل برعى الغنم وحياكة الملابس ، تعـاونه زوجه جلبـان ، وهى امرأة حلوة من الاهواز .

وقد شهد أبوه سقوط دولة بنى أمية ، وقيام دولة بنى العباس . وقد فرحت أمه جلبان بهـذا الحدث ، لانها فارسية ، وقد أسلم العباسيون زمام الامور لأهل فارس .

واعتزل أبوه الجندية ، واشـتغل بالحيـاكة ورعى الاغنام ، واستقرت الأسرة فى البصرة .

وولد أبو نواس سـنة ١٤١ هـ فى عهـد أبى جعفر المنصور ، ثانى خلفاء بنى العباس .

ومات أبوه ، واشتغلت أمه ببعض التجارة ، وحامت حولها الشبهات انها كانت تجعل بيتها وكرا للملذات . على انها أحبت وتزوجت فى النهـاية ، وأهملت شـأن ابنهـا ، واسـمه عنـد مولده الحسن ، الذى التحق بالـكتاب ، ليحفظ القرآن ويحسن القراءة والـكتابة ، ثم عمل عند رجل من العطارين ، ولـكنه كان يكثر من

التردد على مجلس العلماء والفقهاء ، ويقرمز فى الشعر

وكان الفتى جميل الطلعة ، رقيق اللون ، أبيض الجسم ناعمه ، منسدل الذوائب ، معتدل القامة ، حسن العينين والسن ، فصيحا منطيقا مليحا ، ألثغ بالراء يجعلها غينا ، وفيه حلاوة شمائل ...

***

وكان بدء التغير فى مجرى حياته حينما ذهب مع العطار الذى يعمل عنده الى الاهواز ، لعرض بضاعته على أبى بجير الاسدى ، عامل الخليفة على الاهواز . وكان عنده شاعر جهير من أبناء عمومته ، وهو والبة بن الحباب ، وكان هذا مشهورا بزندقته ومجونه وانحرافه واقباله على الخمر والغلمان ، فما أن رأى الغلام الحسن ، حتى تعلقه قلبه ، وكان بينهما حديث عاجل شد كلا منهما الى صاحبه . فلما آن لوالبة أن يعود الى الكوفة ، حيث يقيم ، أخذ معه الحسن وتعاشرا عشرة سيئة ، مع صحبة سوء من خلعاء الكوفة وماجنيها ، كلهم متهم فى خلقه ودينه .

وهكذا قدر للحسن ، فى أول نشأته ، أن ينخرط فى هذه المدرسة من مدارس الشيطان ، وأن يكون لها عليه فضل تفتق برعمه ، وتعويده الارتجال والسبق فى المطارحات والمنادمات .

***

كان مقدم الحسن على الكوفة سنة ١٥٦ هـ ، فهو بعد صبى فى الخامسة عشرة . ولكنه كان ، فضلا عن شاعريته ، وحسن روايته ، مولعا بضرب العود ، وكانت الكوفة حافلة بالقيان ، ومنهن فتاة غريرة هام بها الحسن ونظم فيها أول ما نعرف له من الغزل ، على حد رواية ابن خلكان ، قال فيها :

جــــامل الهوى تعب
يســــتخفه الطــــرب
ان بكى يحــــق له
ليــــس ما به لعب
تضــــحكين لاهيــــة
والمحب ينتحـــــب
تعجبين من ســــقمى
صــــحتى هى العجب
كلمـــا انتفى ســـبب
منــك جــاءنى ســبب

وهكذا أحرقه الشوق صبيــا ، ولا سيما بعــد أن اختفت هذه القينة الصغيرة فى زحام الحياة كما تغيب مثيلاتها ، فهــام بغيرها وغيرها ، وانخرط فى ســلك اللاهين بالحب .

ومما يرويه أستاذه والبة ، قوله : كنت نائما ذات ليلة ، والحسن الى جانبى نائم ، اذ أتانى آت فى منامى، فقال الهاتف : أتدري من هذا النائم الى جانبك ؟

قلت : لا ...

قال : هذا أشعر منك ، وأشعر من الجن والانس. أما والله لأفتنــن بشــعره الثقلــين ، ولأغرين به أهل المشرق والمغرب .

قال والبة : فعلمت انه ابليس ، فقلت له : ماعندك؟

قال : عصيت ربى فى سجدة فأهلــكنى ، ولو امرنى أن أسجد لهذا الف سجدة لسجدت .

***

وذهب الحسن بعد الــكوفة الى البادية ، فأقام فيها عاما تفتحت فيه روحه وصلحت صحته واستقام لسانه ثم عاد الى البصرة ، فاستغرب القوم عودته ، وسألوه :

أرغبت عن والبة ، أم مللت الكوفة ؟ ..
فقال : ان الكوفة لأجدى وأطيب من أن تمل ، ووالبة ممن لا يرغب عنهم ، ولكنى نزعت الى الاوطان واشتقت الى الاخوان .

وراح بالبصرة يتقلب على مجالس العلم والرواية واللغة ـ ولا تفوته حلقة درس ، وكان أستاذه الثانى ، بعد والبة ، هو خلف الاحمر ، الذى دربه على جودة السبك وحسن النقد ، وهو الذى اختار له اسم ابى نواس .
وكان أبو نواس شعوبيا ، من أثر أمه ، فكان لايفتأ يذكر الفرس ومجدهم ، ويتغنى بأعيادهم ومواسمهم ودنان خمورهم ، ويسخر من العرب لتفاخرهم بالانساب ، قائلا :

عاج الشقى على رسم يسائله
وعجت أسأل عن خمارة البلد
يبكى على طلل الماضين من أسد
لا در درك ، قل لى من بنو أسد ؟
ومن تميم ؟ ومن قيس ولفهما
ليس الاعاريب عند الله من أحد !

واعانه على الزندقة ، ان الشكاك والدهريين ومروجي التعاليم اليهودية والنصرانية والمجوسية والثنوية والمانوية كانوا لا ينفكون يطوفون بالعواصم العربية ، يغرون الناشئة بالترخص فى الدين ، ويزينون لهم الزندقة والالحاد ، ولولا ان نفر لهم نفر من المتكلمين والمعتزلة لضاعت صولة الدين .
كل هذا كان له اثره فى أبى نواس ، حتى قال ، وكأنما يتخير مذهبه فى الدين :

يا ناظراً فى الدين ما الامر ؟

لا قـــدر صـــح ولا جبـــــر
ما صح عندى من جميـــع الذى
يذكر الا الموت والقبـــــــــر

وهان عليه بعد ذلك أن يرتكب كل معصية ، ما دام قد تحرر من وازع الدين ، مما يلخصــه لك فى بيتين اثنين :

ألم ترنى أبحت اللهـــو نفسى
ودينى ، واعتكفت على المعاصى
كأنى لا أعـــود الى معـــــاد
ولا أخشى هنـــالك من قصـــاص

ولقد ألقى به فى سجن الزنادقة للمرة الاولى ، وهو ابن عشرين ، أو دونها ، على ان أكثر الشواهد تدلنا على ان أبا نواس لم يتزندق عن ايمان بالزندقة ، وانما اتخذ الزندقة ــ كأكثر أهــل عصره ــ ســـبيلا الى التظرف .

***

واعظم قصة حب فى حياة أبى نواس ــ بعد أن شب عن الطوق ــ هى قصة حبه للجارية جنـــان ، وكانت لآل عبد الوهاب الثقفى . وهى مقـــدودة ، حلوة ، بديعة الحسن ، أديبة ، عاقلة ، تعرف الاخبار وتروى الاشعار ، فقال فيها أجمل شعره ، وصرح باسمها فى بعضه ، كقوله :

لمــــــــا تكشفت عنى أننى كلف
كشفت أيضا لهم عمن به الـكلف
جيم وجـــدت لها نونين ، بينهما
لمن تهجى اسمها أو خطـــه ، ألف
يضمه من ثقيف بعض دورهمو
ما بينكم بعد ذا التبيـــان مختلف

وراح يتابعها فى روحاتها وغدواتها ، ويخالسها النظر فى كل مناسبة ... حتى لقد مات يوما بعض سادتها ، فذهب يرقب من بعيد ، فلمحها سافرة تبكى وتلطم ، فقال :

يا قمــــــرا أبرزه مأتم
ينـدب شـجوا بين أتراب
يبكى فيذرى الدر من نرجس
ويلطم الورد بعنــــــاب
لا تبك ميتا حل فى حفرة
وابك قتيـلا لك بالبــاب

وقد ذل أبو نواس فى حب جنـان ، الى حـد أنها شكته يوما لمولاها ، فشكاه لبعض اخوانه وسبه عندهم، ثم أشفق من لسانه ، وخشى أن يكون موضع هجائه ، فلاينه ، فأجاب أبو نواس على هذه الملاينة بأنه ليس بمن يهجو قوما عندهم جنان :

من سـبنى من ثقيف
فاننى لن أسـبـــه
أبحت عرضى ثقيفـــا
ولطم خـدى وضربه
وكيف ينكر هـــذا
وفيهمو لى احبـــه
لأوســــعن بحلمى
عن الحبيب وكلبتـه
ولا أكون كمـــن لم
يوسـع لمولاه قلبــه
فقــام يدعو عليــه
ويجعـل الله حسـبه

وخرجت جنان للحج فى ركاب سيدتها ، فبلغ الوله بأبى نواس أن خرج وراءها ، لعله يحظى منها بلقاء .

وهناك ، وقف أمام الكعبة ، فأحس الزنديق برهبة الموقف ، وجلالة الله ، فراح يبكي كأشد المؤمنين ايمانا ، ويلتمس العفو والمغفرة ، فى هذه الابتهالة المنغمة :

الهنا ما أعدلك
مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك
وكل من اهل لك
لبيك ان الحمد لك
والملك ، لا شريك لك

***

والليل لما أن حلك
والسابحات فى الفلك
على مجارى المنسلك
ما خاب عبد أملك
أنت له حيث سلك
لولاك يارب هلك

***

يا مخطئا ما اغفلك
عجل وبادر اجلك
واختم بخير عملك
لبيك ان العز لك
والملك ، لا شريك لك
والحمد والنعمة لك

***

هل كان أبو نواس صادقا فى هذه التوبة ؟

ان ما كان من أمره بعد هذا يدلنا على أنه حينما قال تلك الابيات ، انما كان مأخوذا بموقف الرهبة بين يدى الله ، ولكن هذه الرهبة لا تلبث أن تزول حين يرى جنان ، فيتابع خطوها فى كل مكان ، حتى همت بلثم الحجر الاسود ، فزعم هو الآخر انه يهم بلثمه ، فلصق خده بخدها فى زحام الناس ، وقد وصف لنا هذا المشهد فى أبيات جريئة يقول فيها :

وعاشقين التف خداهما
عند التثام الحجر الاسود
فاشتفيا من غير أن يأثما
كأنما كانا على موعد
لولا دفاع الناس اياهما
لما استفاقا آخر المسند
ظللنا ، كلانا ساتر وجهه
مما يلى جانبه باليد
نفعل فى المسجد ما لم يكن
يفعله الابرار فى المسجد

***

وعاد أبو نواس الى البصرة ، فعاد الى صبوته بجنان ، حتى بلغت به الصبوة نهاية اليأس ، فهاجر الى بغداد ، وكانت قد بلغت قمة الحضارة ، وتلونت بلون الترف الفارسى فى عهد المنصور .

وكان شعراء بغداد حتى ذلك الحين لايزالون ينهجون نهج الجاهليين من الوقوف على الرسوم والبكاء على الاطلال ، فجاءهم أبو نواس بالدعوة الى الجديد ، قائلا :

لا جف دمع الذى يبكى على حجر
ولا صفا قلب من يصفو الى وتد

كم بين ناعت خمر فى دساكرها
وبين باك على نؤى ومنتضـــد
فلمـا جاءت خلافة الرشيد ، وأبو نواس فى ذروة الثلاثين ، راح الشـاعر الشـاب يتقرب الى البرامكة ، ويسأل نداهم ، ويذكرهم بنسبه الفارسى، حتى اجزلوا له العطاء ، فكثر ماله ، وحسن حاله .

وما أن وقعت نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ ، حين غدر بهم الرشيد ، حتى أصبحت الكلمة بعد الخليفة لعدو البرامكة ، الفضل بن الربيع ، الذى قرب اليه اهل الادب والعلم ، ومنهم أبو نواس ، الذى مدحه فنال منه كل خير .

***

وقدم ابو نواس الى مصر فى عهـد الخصيب ، عامل العباسيين عليها ، فمدحه بكثير من قصائده ومنها :

أنت الخصيب وهـذه مصر
فتـدفقا فـكلاكما بحر
لا تقعـدا بى عن مدى أملى
شيئا ، فما لـكما به غدر
ويحق لى اذ صرت بينكما
ألا يحل بسـاحتى الفقر

وقد أكرم الخصيب وفادته ، وأجزل له العطاء ، كما مدح كثيرا من سراة مصر فوصلوه ، حتى اغتنى ، وقال :

يا سـائلى كيف حالى
تنبيكه أشـعارى
بمصـر صـرت غنيـا
عن سـائر الامصـار
بها اسـتقام طبـاعى
وتم خلـع عـذارى

وقد تهتك أبو نواس فى أسواق مصر ، وأسرف فى طلب الخمر والغلمـان ، وكان يأخذهم الى بعض أديرة الاقباط لطلب اللذة ، وفى ذلك يقول :

هات من الراح فاسقنى الراحا
أما ترى الديك كيف قد صاحا
من كف قبطية مزنرة
تجعلها للصبوح مفتاحا
تقول للقوم من مجانتها
بالله لا تحبس الاقداحا (١)

على ان المقام فى مصر لم يرق لأبى نواس طويلا ، اذ لم تعجبه خمرها ، ولا تحرج أهلها من التهتك ، فشد رحاله عائدا الى بغداد ، ليستأنف حياة اللهو والمجون التى ألفها وتعودها .

وصادفت عودته نوبة تزمت ركبت الرشيد بعد أن كبرت سنه ، فحملته على الغضب على الماجنين والمتهتكين ، حتى لقد أمر بالقاء أبى نواس فى سجن « المطبق » لجهره بالشراب .

ودخل أبو نواس السجن مستسلما ...

وخرج من السجن بعد ذلك ودخله عدة مرات : مرة لسكره ، ومرة لانحرافه ، ومرة لزندقته .. الخ .

يقال انه دخل المسجد يوما ، والامام يقرأ الآية الكريمة : « قل يا أيها الكافرون » ، فوقف أبو نواس يصيح : لبيك !

فهاج الناس وماجوا وضربوه وساروا به الى صاحب الزنادقة الذى أمر بسجنه .

ومما يدل على استهتاره بأمور الدين ، قوله فى غلام

---

(١) قد يبدو الوزن نابيا فى نهاية البيت ، ولكنه صحيح اذا جعلت الهمزة فى كلمة (الاقداحا) همزة وصل .

ـمرانى مليح :

تمر فاستحييك أن أتكلما
ويثنيك زهو الحسن عن أن تسلما
ويهتز فى ثوبيك كل عشية
قضيب من الريحان شب منعما
بحسبك انالجسم قدشفه الضنى
وان جفونى فيك قد ذرفت دما
اليس عظيما عند كل موحد
غزال مسيحى يعذب مسلما
ولولا دخول النار بعد بصيرة
عبدت مكان الله عيسى بن مريما

وقد روى صاحب الشرطة انه لما حبس ابو نواس ، كان اكثر من يزوره فى حبسه من المرد والشبان والخمارين ، وأصحاب الريبة . وأضاف صاحب الشرطة انه عرف منهم وقتئذ من لم يكن يعرف ، فجعل عليهم الضرائب .

فلما أطلق سراح أبى نواس ، فقد صاحب الشرطة اكثر دخله منهم .

على ان هذا الشاعر الماجن الذى قضى جل حياته فى العبث والفسوق والزندقة ، قد خلف لنا من نتاج أوىقات زهده ـ وهى قليلة ـ ما لم يتركه أعمق المتصوفين ، كقوله :

حتى متى يا نفس تغـ
ـترين بالامل الكذوب
يا نفس توبى قبل أن
لا تستطيعى أن تتوبى
واستغفرى لذنوبك الر
حمن غفار الذنوب

وكقوله :

يا نواسى توقـــــر
وتجمـــل وتصـــبر
ســـاءك الدهر بشىء
ربما ســـــرك أكثر
يا كبـــير الذنب عفو
الله من ذنبـك أكبر
أكبر الاشياء من أصفـ
ـر عفو الله أصـغر
ليس للانســـان الا
ما قضى الله ودبـــر

***

وكقوله :

أيها الغــافل المقيــم على السهـ
ـو ولا عذر فى المقــام لسـاهى
ما بأعمــالنــا نطيـق خلاصــا
يوم تبدو السماء فوق الجبــاه
غير انى على الاســـاءة والتفـ
ـريط راج لحســن عفـو الاله



ابو الهيثم

عش ، فحبيـــــك سريعـــــا قاتلى
والهوى ان لم تصلنى واصـــــلى
وبكى العـــــازل من رحمتـــــه
فبكائى لبـــــكاء العـــــاذل

هو خالد بن زيد ، واصله من خراسـان ، وسمى ابا الهيثم ، وقد عاش ببغداد ، ومات سنة ٢٦٩ هـ .
وقد اشتهر فى زمانه لرقة شـعره ، وكان من كتاب الجيش ، ثم تولى العمل ببعض الثغور .
وقد أصابته فى فترة من حيـاته لوثة ووسواس ، اختلفت فيها الاسباب ...
فقيل انه اذ كان ببعض الموانىء ، سمع فى الطريق مغنية تغنى بصوت شجى :

من كان ذا شجن بالشام يطلبه
ففى سوى الشام أمسى الاهل والشجن

فبكى أبو الهيثم حتى سقط مغشيـا عليه ، فأفاق مختلطا ، ووسوس !
وقيل انه كان يهوى جارية لبعض اغنياء بغداد وقد نظم فيها شعرا كثيرا ، من أرقه قوله :

عش فحبيك سريعـا قاتلى
والهوى ان لم تصلنى واصلى
ظفر الشـوق بقلب دنف
فيك والسقم بجسم ناحل
فهمـا بعـد اكتئاب وضنى

تركاني كالقضيب الذابل
وبكى العاذل من رحمته
فبكائي لبكاء العاذل

فلما لم يقدر عليها ، اختلط ، وغلبت عليه السوداء ، وهى الداء المعروف علميا باسم الميلاخوليا ، اى المزاج السوداوى الذى يخيم الحزن على صاحبه .

وقيل انه كان مغرما بالغلمان ، ينفق عليهم كل ما يكسبه . فأحب غلاما يقال له عبد الله ، وكان ابو تمام الطائي يهواه . ومن قول ابى الهيثم فى هذا الغلام :

قضيب بان جناه ورد
تحمله وجنة وخد
لم اثن طرفى اليه الا
مات عزاء وعاش وجد
ملك طوع النفوس حتى
علمه الزهو حين يبدو
واجتمع الصد فيه حتى
ليس لخلق سواه صد

وسمع ابو تمام هذه الابيات ، فقال :

شعرك هذا كله مفرط
فى برده يا خالد البارد

وعلم ابو تمام هذا البيت للصبيان ، فكانوا يجرون وراء ابى الهيثم فى الطرقات ويرددون : « يا خالد البارد » حتى وسوس !

وهكذا وقعت المهاجاة بينه وبين ابى تمام من اجل هذا الغلام ، فقال فيه يتهمه بالابنة :

يا معشر المرد انى ناصح لكمو
والمرء فى القول بين الصدق والكذب

لا ينكحن حبيبا (١) منكمو أحد
فان وجماءه أعدى من الجرب
لا تأمنوا أن تعودوا بعد ثالثة
فتركبوا عمدا ليست من الخشب

ويبدو ان قصة الوسوسة ، من أجل هذا الغلام ، طالت به سنين عمره ، حتى كان فيه أكثر شعره واطيبه ومنه قوله يعاتبه :

يا تارك الجسم بلا قلب
ان كنت اهواك فما ذنبى
يا مفردا بالحسن أفردتنى
منك بطول الشوق والحب
ان تك عينى أبصرت فتنة
فهل على قلبى من عتب
فحسبك الله لما بى كما
انك فى فعلك بى حسبى

وانه ليحبه حتى ليشفق عليه من أن يصيبه من السقم ما أصابه . ويدعو الله له ، يقول :

كبد شفها غليل التصابى
بين عتب وجفوة وعذاب
كل يوم تدمى بجرح من الشو
ق ونوع مجدد من عتاب
ياسقيم الجفون أسقمت جسمى
فاشفنى كيف شئت ، لابك مابى
ان أكن مذنبا فكن حسن العفـ
ـو أو اجعل سوى الصدود عقابى

وزادت الجنة بأبى الهيثم ، حتى لقد حدثنا ابن

---

(١) حبيب ، هو اسم ابى تمام .

ابى سلالة الشاعر قال[1]: دخلت بغداد بعض السنين ، فبينا أنا مار فى طريق ، اذا أنا برجل عليه مبطنة وعلى رأسه قلنسوة حمراء ، وهو راكب على قصبة ، والصبيان خلفه يصيحون : « يا خالد البارد ... يا خالد البارد » ... فلم أزل اطردهم عنه حتى تفرقوا ، وأدخلته بستانا هناك ، فجلس واستراح ، واشتريت له رطبا فأكل ، واستنشدته فأنشدنى :

قد حاز قلبى فصار يملكه
فكيف أسلو وكيف أتركه
رطيب جسم كالماء تحسبه
يخطر فى القلب منه مسلكه
يكاد يجرى من القميص من النعـ
ـمة لولا القميص يمسكه

***

ومن تلك الصورة التى يرسمها لنا ابن سلالة ... من ذلك اللباس المضحك كالبهلوانات ، ومن ركوب القصبة ، ندرك مدى ما جنى عليه حب الغلام ، وبيت ابى تمام ، حتى مات بها فى بغداد سنة ٢٦٩ هـ .



الاقيشر

رأيتك أعمى العين والقلب ، ممسكا
وما خير أعمى العين والقلب يبخل
فلو صم ، تمت نعمة الله كلها
عليه ، وما فيه من الشر أفضل

اسمه المغيرة بن عبد الله الاسدى ، ويكنى بأبى معرض . وقد غلب عليه اسم الاقيشر ، لانه كان شديد حمرة الوجه ، كأنما ألبس جلده مقلوبا .

وكان يكره أن ينادى بهذا الاسم .

مر يوما ببنى عبس ، فى طريقه الى الحيرة ، فناداه احدهم : يا أقيشر ...

ومضى الاقيشر الى أن لقى عابر سبيل ، فقال له : تعال معى ، فاذا أنشدت بيتا فقل لى : ولم ذاك ؟.. وخذ هذين الدرهمين .

فقال الرجل : بل أذهب معك بلا أجر ...

وسارا ، حتى اذا بلغا مجلس بنى عبس ، نظر الاقيشر الى الرجل الذى ناداه منهم ، وقال :

أتدعونى الاقيشر ذلك اسمى
وأدعوك ابن مطفئة السراج

فقال صاحبه كما اتفقا : ولم ذاك ؟

قال الاقيشر :

تناجى خدنها بالليل سرا
ورب الناس يعلم ما تناجى

وانصرف الاقيشر وصاحبه ... وضحك بنو عبس

من صاحبهم ، وسموه طول عمره ابن مطفئة السراج .

***

من هـذه الحادثة ، نلمس أن اقيشر كان ظريفا مهذارا لاذع الهجاء . وكان الى جانب ذلك خليعا ماجنا يكثر من الشراب حتى لايعى ، وانه ليعترف بفسوقه فى أكثر من قصيدة ، منها :

فان أبا معرض اذ حسا
من الراح كأسا على المنبر
خطيب لبيب أبو معرض
فصار خليعا على المكبر
أحل الحرام أبو معرض
فان ليم فى الخمر لم يصبر
يجل اللئام ويلحى الكرام
وان أقصروا عنه لم يقصر

***

والاقيشر ، ولد فى الجاهلية ، ونشأ فى الاسلام ، وعمر طويلا .

ويروى ابن سلام ان الاقيشر كان عنينا لايأتى النساء ، وأنه كان يغالط فى هذا فيتحدث عن فحولته بشعر قبيح لا يسمح لنا أدب القلم بذكره .

ونحن نرجح رواية ابن سلام ، لأننا لم نجد فيما وقعنا عليه من شعر الاقيشر شيئا يستحق الذكر من الغزل أو التشبيب ، فجل حصيلتنا منه هجاء وزندقة وقول فى الخمر .

ومع هذا ففى سيرته انه تزوج ابنة عم له اسمها الرباب ، على أربعة آلاف درهم ، ويقال عشرة آلاف ، لم يكن يملك منها شيئا ، فسأل قومه ، فلم يمدوا له يد العون ، فذهب الى ابن رأس البغل ، وهو دهقان

الصين ، وكان مجوسيا من عبدة النار ، فسأله ، فأعطاه الصداق .

ومدحه الاقيشر بقصيدة لا ندرى اهى مدح أم ذم ، ولكنها بالغة آية الطرافة . قال :

كفاني المجوسي مهر الرباب
فدى للمجوسي خالى وعم
شهدت بأنك رطب المشاش (١)
وان أباك الجواد الخضم
وانك سيد أهل الجحيم
اذا ما ترديت فيمن ظلم
تجاور قارون فى قعرها
وفرعون والمكتنى بالحكم (٢)

فقال له المجوسي : ويحك ، سألت قومك فلم يعطوك ، وجئتنى فأعطيتك ، فجزيتنى هذا القول ، ولم افلت من شعرك وشرك !

قال الاقيشر : أو ما ترضى ان جعلتك مع الملوك وفوق أبى جهل ؟

***

من هذه الابيات التى قالها فى المجوس ، نستشف فى الاقيشر ــ على مجونه ــ لمحة ايمان ، فهو كمسلم ، لا يعفى المجوسى من النار حتى ولو أعطاه عشرة آلاف درهم .

وقد عرفنا انه لا يحفل كثيرا بذكر النساء كما حفل غيره من أهل المجون ، ولا كان شعوبيا كأبى نواس وبشار ، وأكثر الماجنين ، بل عربيا يتعصب لقومه ، حتى ضد أطراف العرب .

---

(١) رطب المشاش : كريم النفس .. (٢) الحكم : ابو جهل

خطب رجل من حضرموت امرأة من بنى أسد ، قبيلة الاقيشر .

وراح الرجل يسأل عن أحسابها وأنسابها ، فساء الاقيشر ذلك ، فقال :

حضرموت فتشت أنسابنا
والينا حضرموت تنتسب
أخوة القرد وهم أعمامه
برئت منكم الى الله العرب

***

وتعلقه بالخمر اذن هو مصدر مجونه ، ومستلهم شعره .

شرب الاقيشر يوما بالحيرة ، فى بيت فيه خياط مقعد ورجل أعمى ، وعندهم مغن مطرب ، فطرب الاقيشر ، فسقى أصحابه من شرابه ، فلما انتشوا توثب الاعمى فى أركان الغرفة ، وراح المقعد يرقص رقصة عرجاء .

وراح الاقيشر يصف خمره الصافية وما صنعت بالقوم من المعجزات ، قال :

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا
وأعمى سقيناه ثلاثا فابصرا
شرابا كريح العنبر الورد ريحه
ومسحوق هندى من المسك أذفرا
من الفتيات الغر من أرض بابل
اذا شنها الحانى من الدن كبرا
لها من زجاج الشام عنق غريبة
تألق فيها صانع وتخيرا
ذخائر فرعون التى حببت له
وكل يسمى بالعتيق مشهرا
اذا ما رآها بعد انقاء غسلها
تدور علينا صائم القوم أفطرا

وكان الاقيشر قنوعا فى طلب المـال ، لا يروم منه الا ما يسد شهوة الشراب عنده ، ولا يسأل أحدا أكثر من خمسة دراهم ، يجعل درهمين في كراء بغل الى الحيرة ، ودرهمين للشراب ودرهما للطعام .

ويروى عنه انه أتى قيس بن محمد بن الاشعث الضرير ، وهو من سراة البصرة ، فسأله العطاء ، فأعطاه ثلثمائة درهم ، فقال الاقيشر : لا أريدها جملة ، بل ثلاثة دراهم كل يوم حتى تنفد .

وكان له ما أراد ، فلما نفدت ، أمر له بثانية ، وعلى النهج نفسه .

فلما أتاه يسأل الرابعة ، قال له قيس : لا أبا لك ، كأنك قد جعلت هذا خراجا علينا !

فهجاه بقوله :

ألم تر قيس الاكمه ابن محمد
يقول ولا تلقاه للخير يفعل
رأيتك أعمى العين والقلب ممسكا
وماخير أعمى العين والقلب يبخل
فلو صم تمت نعمة الله كلها
عليه وما فيه من الشر أفضل

***

على ان الطف ما نختتم به الحديث عن الاقيشر ، حكايته اذ أخرجه الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة ، الملقب بالقباع ، مع قومه لقتال أهل الشام . ولم تكن للاقيشر فرس ، فخرج على حمار ، حتى اذا بلغ الجيش قرية يقال لها قنين ، توارى عند خمارٌ نبطى يتجر — الى جانب الخمر — بجسد زوجته ، فباع الاقيشر الحمار ، وجعل يسكر بثمنه — وقيل يفجر أيضا — الى أن قفل الجيش !



بشار بن برد

بنو امية هبوا ، طال نومكمـــو
ان الخليفـــة يعقـــوب بن داود
ضاعت خـــلافتكم يا قوم فالتمسوا
خليفـــة الله بين الناى والعـــود

ان في بردى جسمانا حلا
لو توكأت عليه لانهـــدم

لعلك اذا قرأت هذا البيت دون أن تعرف قائله ، تصورت ان قائله شاعر يذوب رقة حتى ليكاد يتهاوى من الشفافية والنحول .

والحقيقة أبعد ما تكون عن هذا الظن . فقائل هـذا البيت شاعر كفيف البصر ، قبيح الخلقة ، ضـــخم الجثة ، سليط اللسان ، زنديق الفكر ، شـــعوبى النزعة ، كاره للناس ، حاقد على الدنيا ، حتى لا نكاد نجد فيه بقية تدل على انسانيته الا انه كان شـــاعرا يجعله النقاد القدامى سيد شعراء عصره .

ثم تجد فيه بعد هذا ولوعا بالنكتة اللاذعة الجارحة هذا هو بشار بن برد .

مر بشار برجل رفسته بغلة فى بطنـــه فآلمتـــه حتى ســقط على الارض من الالم ، وهو من ايمانه يقول : الحمد لله !

وسمعه بشـــار وعرف مابه ، فقال له : اســتزده يزدك !

ومر به قوم فى جنازة ، وهم يسرعون الخطى، فقال

ساخرا : مالهم مسرعين ؟ أتراهم سرقوه فهم يخافون أن يلحقوا فيؤخذ منهم ؟

وكان يوما بين يدى المهدى ينشده شعرا ، فدخل يزيد بن منصور الحميرى ، خال المهدى ، وكان ذا غفلة ... فلما انتهى بشار ، أقبل عليه يزيد يسأله : من أنت ، وما صناعتك ؟

فأجابه ساخرا : أثقب اللؤلؤ !

ولم يستطع المهدى أن يكتم الضحك من النكتة ، وان ساءه أن يسخر بشار من خاله ، فلامه على هذا ، فقال لبشار : وماذا أقول له ؟ يرى رجلا أعمى ينشد شعرا بين يدى الخليفة ، فيسأله عن صناعته !

***

ويروى داود بن رزين هذه الرواية :

أتينا بشارا ، فأذن لنا والمائدة بين يديه ، فلم يدعنا الى الطعام . فلما أكل دعا بطست ، فكشف عن سوأته ، فبال . ثم نودى لصلاة الظهر ، ثم صلاة العصر ، ثم المغرب فلم يصل . فدنونا منه وقلنا : انت أستاذنا ، وقد رأينا منك أشياء أنكرناها .

قال : وما هى ؟

قلنا : دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا اليه ...

فقال : انما اذنت لكم أن تأكلوا ، ولو لم أرد أن تأكلوا ما اذنت لكم بالدخول . ثم ماذا ؟

قلنا : ودعوت بطست ونحن حضور ، فبلت ونحن نراك !

فقال : أنا مكفوف ، وأنتم بصراء ، فأنتم المأمورون بغض الابصار . ثم ماذا ؟

قلنا : وحضرنا صلاة الظهر ، ثم العصر ، ثم المغرب ، ولم تصل .

فقال : ان الذى يقبلها تفاريق ، يقبلها جملة !

***

وكان فارسى الارومة ، يعتز بنسبه ويفخر بقومه فى مجالسه ، وتبلغ به هذه النزعة الى حد انه كان يؤثر النار على الطين ، شـــأن المجوس من قومه ، ويدين بالرجعة ، ويكفر الامة كلها بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى انه سئل مرة عن الامام على كرم الله وجهه ، فتمثل بقول عمرو بن كلثوم :

وما شر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذى لا تصحبينا

فاذا كنت قد وجدت فى شعره انه قد مدح خلفاء بنى أمية ، ثم خلفاء بنى العباس من بعدهم ، فلا نزولا عن شعوبيته ، ولا حبا فى العرب ، وانما كما مدح غيرهم من الاشراف والسراة ، ابتغاء رفدهم ، فان لم ينل منهم المال بالمديح ، ناله بالتخويف بالهجاء ، ثم بالهجاء ، مما كان يحملهم على العطاء خشية المزيد.

***

كان بشار كثير المجون ، شديد التشبث باللذات ، يسرف فيها فى غير مراعاة لحرمة الدين أو حرمة العمى. وكان من فرط افساده للنساء يثير جزع أهل البصرة ، فيبعثون اليه بالوعاظ ينهونه عما هو سادر فيه ، وهو سـادر لا يرتدع ، حتى ضاقوا به فشكوا امره الى المهدى ، الذى عنفه وانذره ، وفى هذا يقول بشار :

يا منظرا حسنا رأيته
من وجه جارية ، فديته
بعثت الى تسومنى
برد الشباب وقد طويته
والله رب محمد

ما ان غدرت ولا نويتـــه
أمســـــكت عنك ، وربما
عرض البـلاء وما ابتغيتـه
ان الخليفـــــة قد أبى
واذا أبى شيئا أبيتـــه
ومخضب رخص البنـــا
ن بكى على وما بكيتـــه
ويشـــــوقنى بيت الحبيـ
ـب اذا ادكرت ، وأين بيته ؟
قام الخليفـــــة دونه
فصبـرت عنه وما قليتـه
ونهـــانى الملك الهمـــا
م عن النســاء وما عصيته
لا ، بل وفيت فلم أضـع
عهـدا ، ولا رأيا رأيتـه

***

وقد تقف ـ وانت تقرأ هذه الابيات ـ عند قسـمه بالله رب محمد ، وتتساءل : أين اذن زندقته ؟

والجواب : انه كان كاذبا فى قسمه ، كما كان كاذبا فى قوله انه استجاب لامر الخليفة ، وفى اظهار حبـه للخليفة ووصفه بأنه الملك الهمام .

كان ديدنه النفاق فى كل هذا . فقد كان بالبصرة ، على زمانه ، نفر من أهل الزندقة يجاهرون بها ، ولكنهم لاذوا بالفرار هربا من بطش الخليفة بهم . أما بشار ، فكان يكتم زندقته ويتظاهر بالايمان نفاقا ونجاء بعنقه.

وليس أدل على كذبه فى مدح الخليفـة من اعترافه هو ، بعد أن مدح الخليفة بقصيدته التى مطلعها :

خليلى ان العسر سـوف يفيق

وانّ يســـــــارا فى غد لخليـــق

فلم يجزه عليها .. وعيره النـــاس قائلين له : انما حرمك لانه لم يستحسن شعرك . فأجاب : لقد مدحته بشعر لو قيل فى الدهر لأمن الناس صروفه ، ولـــكنه كذب أملى ، لانى كذبت فى القول !

***

ونعود الى بشار فى مجونه ، فنقع على قصيدة يتمثل فيها فحشه الى أبعد مداه ، فى اللفظ والمعنى والصورة بعد الثلث الاول من القصيدة ، مع اعترافنا بأنها من جميل الشعر ، الى حد اننا نضطر فى أحد أبياتها الى اهمال بعض الالفاظ مراعاة لادب القلم ، تاركين للقارىء أن يفطن اليها فى استطراده مع القافية :

قـــد لامنى فى خليـــلتى عمــر
واللوم فى غير كنهه ضـــــجر
قال : أفق ، قلت : لا ، قال : بلى
قد شاع فى الناس منكما الخبر
قلت : واذ شاع ما اعتذارك ما
ليس لى فيـــه عنـــدهم عـــذر
ماذا عليهم ، ومالهم خرســـوا
لو أنهم فى عيـــــــوبهم نظروا
أعشـــق وحـــدى ، ويؤخذون به
كالترك تغـــزو ، فتؤخـــذ الخزر
يا عجبـــا للخـــلاف يا عجبـــا
بفى الذى لام فى الهـــوى الحجـــر
حسبى وحسب الذى كلفت به
منى ومنه الحديث والنــــــظر
أو قبلة فى خلال ذاك ، وما
بأس اذا . . . . !

أو عضـــة فى ذراعها ، ولهــا
قوق ذراعى من عضـــــها أثر
أو لمســة دون مرطهــا بيــدى
والبـــاب قد حال دونه الستر
والســـــــــاق براقة مخلخلهــا
أو مص ريق ، وقد علا البهر
واســترخت الـكف للعراك وقا
لت : ايه عنى ، والدمع منحــدر
انهض ، فما أنت كالذى زعموا
انت وربى مفــــــــازل أشر
قـــد غابت اليوم عنــك حاضنتى
والله لى منك فيك ينتصــــــر
يارب خذ لى ، فقد ترى ضرعى
من فاســق جــاء مابه ســكر
أهوى الى معضــدى فرضضــه
ذو قوة ما يطـــاق مقتـــدر
ألصــق بى لحيــة له خشنت
ذات ســـــــواد كأنها الابر
أقســـــــم بالله لا نجوت بها
فاذهب فأنت المســـــاور الظفر
كيف بأمى اذا رأت شـــــفتى
أم كيف ان شاع منك ذا الخبر
قد كنت أخشى الذى ابتليت به
منك ، فمــــاذا أقول يا عبــر
قلت لها عنــد ذاك : يا سكنى
لا بأس ، انى مجرب خبـــــر
قولى لهــا : بقــة لهــا ظـفر
ان كان فى البق ما له ظـــفر

وصاحب الذوق من قراء الشعر يصطدم بالبيت الاخير ، فيتأذى منه ، ويعجب كيف هبط بشار ، بعد تلك الصورة الحسية المستملحة عند أهل المجون، وبعد ذلك الحوار الطريف بينه وبين فتاته ، الى مستوى « البق » وكان أخلق به أن يلتمس عذرا أقرب الى الذوق واللطف .

ولكن هذا هو بشار فى عثراته الذوقية التى نجد منها أكثر من شاهد . ومن ذلك قوله فى الغزل بسليمى :

انما عظم سليمى قصب
قصب السكر لا عظم الجمل
فاذا أدنيت منها بصلا
غلب المسك على ريح البصل

ومع هذا ، فبشار هو صاحب هذه الابيات الاثيرة التى يرددها كل عاشق منذ عصر بشار الى اليوم ، وكثيرا ما تغنى بها أهل الغناء القدامى والمحدثون :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم
ونفى عنى الكرى طيف الم
رفهى يا « عبد » عنى واعلمى
اننى يا « عبد » من لحم ودم
ان فى بردى جسمانا حلا
لو توكأت عليه لانهدم
واذا قلت لها جودى لنا
خرجت بالصمت عن لا ونعم

وأما « عبد » هذه التى يذكرها فى القصيدة ، فهى عبدة ، التى خصها بشار ــ على فجوره ــ بأكثر غزلياته ، وكانت ــ على ما يجمع عليه الرواة ــ تميل اليه وتحب شعره وتمده بالالهام وتخصه بود كبير ،

وان كان أستاذنا الدكتور طه حسين ـ وهو يعترف بشدة كراهيته لخلق بشار وفرط نفوره من شخصيته ـ ينكر أن رجلا كبشار يستطيع أن يحب عبدة أو غير عبدة ، وانه فى صلته بها منافق ، كما هو منافق فى جميع صلاته بالحياة ، وان عبدة هى الاخرى لم تكن تحبه ، وان كانت تأنس اليه .

ومع اعترافنا بأن بشارا كان فاجرا متهتكا عربيدا ، فاننا لا نستبعد أن يكون قد أحب عبدة بالفعل ، فهى فى حياته كبوة الجواد ، أحبها اذ سمعها لأول مرة وهى فى مجلسه ، ومعها غيرها من النساء ، فوقع صوتها وحديثها فى قلبه ، فدعا غلامه فقال : انى قد علقت امرأة ، فاذا تكلمت فانظر من هى واعرفها .. فاذا انفض المجلس وانصرف أهله ، فاتبعها وكلمها واعلمها انى لها محب ، وأنشدها هذه الابيات ، وعرفها أنى قلتها فيها :

قالوا : بمن لا ترى تهذى ، فقلت لهم :
الاذن كالعين توفى القلب ما كانا
هل من دواء لمشغوف بجارية
يلقى بلقيانها روحا وريحانا
يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة
والاذن تعشق قبل العين أحيانا

وفض المجلس ...

وسار اليها الغلام فأبلغها الابيات ، فهشت لها ، وكانت تزوره مع نسوة يصحبنها ، فيأكلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدثها وينشدها ولا تطمعه فى نفسها .

ولا شك ان عبدة كانت تعلم ما عنده من مجون ، ولكنها كانت تفد عليه محبة لشعره ، ولا سيما شعره فيها ، وحسب ...

أماهو، فلعله أحب هذه المرة لغيرالمجون، ولهذا يقول:

يا عبد حبى لك مستور
وكل حب غيـــــره زور
ان كان هجرى سركم فاهجروا
انى بما ســـرك مســـرور

ولعله صدق فى شىء لاول مرة ، فقال فى عبدة أكثر غزلياته وأجودها وأحفلها بحرارة الصـــدق ، كهذه الابيات التى بكى الوليـد بن يزيد عنـد سماعها حتى امتزجت دموعه بدمه فى الـكأس :

أيها الســاقيان صبـا شرابى
واسقيانى من ريق بيضـاء رود
ان دائى الظمـــأ ، وان دوائى
شربة من رضـــاب ثغر برود
ولها مضـــحك كفر الاقاحى
وحديث كالوشى ، وشى البرود
نزلت فى السواد من حبة القلـ
ـب ، ونالت زيادة المســـتزيد
ثم قالت : نلقـــاك بعـــد ليـــال
والليـــالى يبلين كل جـــديد
عندها الصبر عن لقائى ، وعندى
زفرات يأكلن قلب الحـــديد

***

ومن الانصــاف لبشــار قبــل أن نفرغ من الحديث عنه ، انه لم يكن شــاعرا ماجنا وحسب ، وانما له الـكثير من الشعر الجاد ، الذى يرتفع به الى مكانة سامقة بين شعراء عصره ، ولا سيما شعره السياسى. وكان بشار يزعم انه أشعر الناس ، ويقول : ان لى اثنى عشر ألف قصيـدة ، فويلى اذا لم يكن فى كل

قصيدة منها بيت جيد !

أما كيف انتهت حياة بشار ، فقصة ذلك انه حمل فى قلبه الحفيظة على الخليفة المهدى حين أنشده شعرا فلم يصله ، فى حين وصل غيره من الشعراء ، على ما روينا من قبل .

وبينما هو ذات يوم فى مجلس يونس بن حبيب النحوى ، تحركت الحفيظة فى قلبه ، فأراد أن يقول شعرا قبيحا ، فتساءل ، حتى يأخذ الحيطة ، أن كان فى المجلس من يسمع فيشى به عند الخليفة فقيل له : لا ، فتطاول على الخليفة ببيتين قبيحين ، ذم فيهما المهدى ، ودعا على ولى عهده ، موسى الهادى ، دعوة فاجرة فيها تعريض بالخيزران ، زوجة المهدى . قال :

خليفة يزنى بعماته
يلعب بالديوق والصولجان
أبدلنا الله به غيره
ودس موسى فى ... الخيزران (١)

ثم عرج على يعقوب بن داود ، وزير المهدى ، فقال يدعو بنى أمية الى الانتفاض ، ويتهم يعقوب بأنه هو الخليفة الفعلى :

بنى أمية هبوا طال نومكمو
ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا
خليفة الله بين الناى والعود

وكان بشار مكروها من أهل البصرة ، علمائها وعامتها ، فسار يونس وأصحابه بالابيات الاربعة الى المهدى ويعقوب ، فثارت ثائرة المهدى ، وأمر بأن يجلد بشار سبعين جلدة بالسوط . وكان كلما أوجعه السوط

---

(١) الكلمة المنقوطة ، سوأة المرأة

صاح « حسس » وهذه كلمة تدل على شدة الالم ، فقال بعض الحاضرين :

انظروا اليه لا يقول بسم الله . فقال بشار وهو يتأوه : ويحكم ، أهو ثريد حتى أسمى عليه ؟

***

حمل الى بيته بعد الجلد في حال سيئة ... وسمع الناس بما وقع له ، فساروا اليه بالهدايا والعطايا ، لا حبا فيه ، ولا عطفا عليه ، ولكن استجلابا لمودته واشفاقا من لسانه بعد أن يفيق من غشيته .

على انه لم يفق ، وما لبث أن مات من أثر الضرب.

وهنا تجلت كراهية الناس له ، حتى قيل ان احدا من أهل البصرة لم يخرج الى جنازته ، الا جارية عجماء من السند كانت له ، سارت وراء نعشه تولول : وا سيداه .. وا سيداه !



جحظة البرمكى

ولى صاحب زرته للسـلام
فقابلنى بالحجـاب الصراح
وقـالوا : تغيب عن داره
لخوف غـريم ملح وقـاح
ولو كان عن داره غائبـا
لادخلنى أهـله للنـكاح

هو من البرامكة ، واسـمه أبو الحسن أحمـد ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك .

سمى بجحظة ، لجحوظ عينيه .

وكان قبيح المنظر ، قذرا ، دنىء النفس ، قليـل الدين ، كريه الرائحة من كثرة الفساء . ومع هـذا كان حسن الادب ، كثير الرواية للأخبار ، متصرفا فى فنون من العلم ، كالنحو واللغة والنجوم ، مليح الشعر ، حاضر النادرة .

وكان حسن الغناء والعزف على الطنبور ، حتى كان المعتمد يسميه « خنياكر » ... وهى كلمـة فارسـية معناها : المغنى .

ولد جحظة سنة ٢٢٤ ، ومات سنة ٣٢٤ هـ ، أى انه عمر مائة سنة .

وله كتب عدة ، فى مختلف الفنون ، منهـا كتاب « الطبيخ » ... وكتاب « السكباج » وهو لون من المرق يطهى باللحم والخل ... وكتاب « المشاهدات » وكتاب عن التنجيم ، وكتاب عن الطنبور وعزفه وعازفيه

وله بعد ذلك ديوان شعر طريف فى مختلف الاغراض، فمن أرق شعره فى الغزل :

اذا ما ظمئت الى ريقه
جعلت المدامة منه بديلا
وأين المدامة من ريقه ؟
ولكن أعلل قلبا غليلا

ومنه :

أقول لها والصبح قد لاح ضوؤه
كما لاح ضوء البارق المتألق
شبيهك قد وافى ولاح افتراقنا
فهل لك فى صوت وكأس مروق ؟ (١)
فقالت : شفائى فى الذى قد ذكرته
وان كنت قد نغصته بالتفرق

ومن قوله فى الهجاء ، ما قاله فى صاحب له ، يصاحبه طمعا فى أدبه وظرفه وغنائه ، ولا يصله بشىء :

لى صديق مغرى بقربى وشدوى
وله عند ذاك وجه صفيق
قوله ـ ان شدوت ـ «أحسنت، زدنى»
وبأحسنت . . . لا يباع الدقيق

وله أيضا فى هجاء صاحب له أخفى عنه نفسه :

ولى صاحب زرته للسلام
فقابلنى بالحجاب الصراح
وقالوا : تغيب عن داره
لخوف غريم ملح وقاح
ولو كان عن داره غائبا
لأدخلنى أهله للنكاح

وله فى الشكوى مما أصابه من الخمر :

---

(١) الصوت ، الغناء ـ والمروق الصافى .

قد قلـــل الادمان أكلى ، فمـــا
أطعم زادا قيس ابهـــــام (١)
فالحمـــــــد لله وشـــــكرا له
قد صـــــرت من بائد أقـــوام
قوم ترى أولادهم بينـــــــــهم
لمجوع فى حلبـــــة ايتـــام (٢)

وله فى شــكوى الزمن ، مما يقترن بالفخر ، وقــد طعن فى السن :

أرى الايام تضـــــمن لى بخير
ولــكن بعــــــــد أيام طوال
فمن ذا ضـــامن لدوام عمرى
الى دهر يغير ســــــوء حالى
هى التسعون قد عطفت قناتى
ونفرت الغوانى عن وصــــالى
وفيهــا لو عرفت الحق شــغل
عن الامر الذى أضحى اشتغالى
كأنى بالنـــــــــــوادب قائلات
وجسمى فوق أعنـــاق الرجال
الا ســقيا لجســمك كيف يبلى
وذكرك فى المجالس غــــير بال

ومن القصيــدة التالية نستشف ما صــار اليه من سوء الحال فى كبره حتى انه كان يبيــع كتبه ليـكرم ضيفه :

الحمـــــــــد لله ليس لى كاتب
ولا على باب منــــزلى حاجب
ولا حمـــــــار اذا عزمت على

(١) قيس : قدر .
(٢) حلبة : هيئة .

ركوبه قيل : جحظة راكب
ولا قميص يكون لى بدلا
مخافة من قميصى الذاهب
وأجرة البيت فهى مقرحة
أجفان عينى بالوابل الساكب
ان زارنى صاحب عزمت على
بيع كتاب لشبعة الصاحب
أصبحت فى معشر تشمتهم
فرض من الله لازب واجب

ويروى عنه الرواة انه كان خسيف الدين ، لا يصلى، ولا يصوم رمضان . وقد كان صباح نهار عند بعض الوجهاء ، فلما انتصف النهار ، قام جحظة فسرق رغيفا ، ودخل المستراح ، وجلس على المقعدة .

ودخل عليه مضيفه عن غير قصد ، فرأى الخبز بين يديه ، فقال له : ويحك ، ما هذا يا أبا الحسن فى رمضان ؟ ..

فزعم جحظة انه اخذ الرغيف ليقطعه للخنافس التى تملأ المستراح حتى يرحمها من الجوع ! ..

وكان من سخطه على حياته ، بعد ما انخفض عيشه ، يلعن كل ما فى الحياة ومن فى الحياة ، حتى أبويه ، قائلا :

ما انصفتنى يد الزمان ولا
أدركنى غير حرفة الادب
لا حفظ الله حيثما سلكت
أمى ، وأ ... الحمار فى است أبى (١)
ما تركا درهما أصون به
وجهى يوما عن ذلة الطلب

(١) الكلمة المنقوطة : قبيحة .

ومن البيت الاخير نرى انه كان يتدنى وهو كاره ، ويشعر ان الفقر مسئول عما يهدر من ماء وجهه ، وما ينزل به عن المكانة التى هو أهل لها عند الناس .

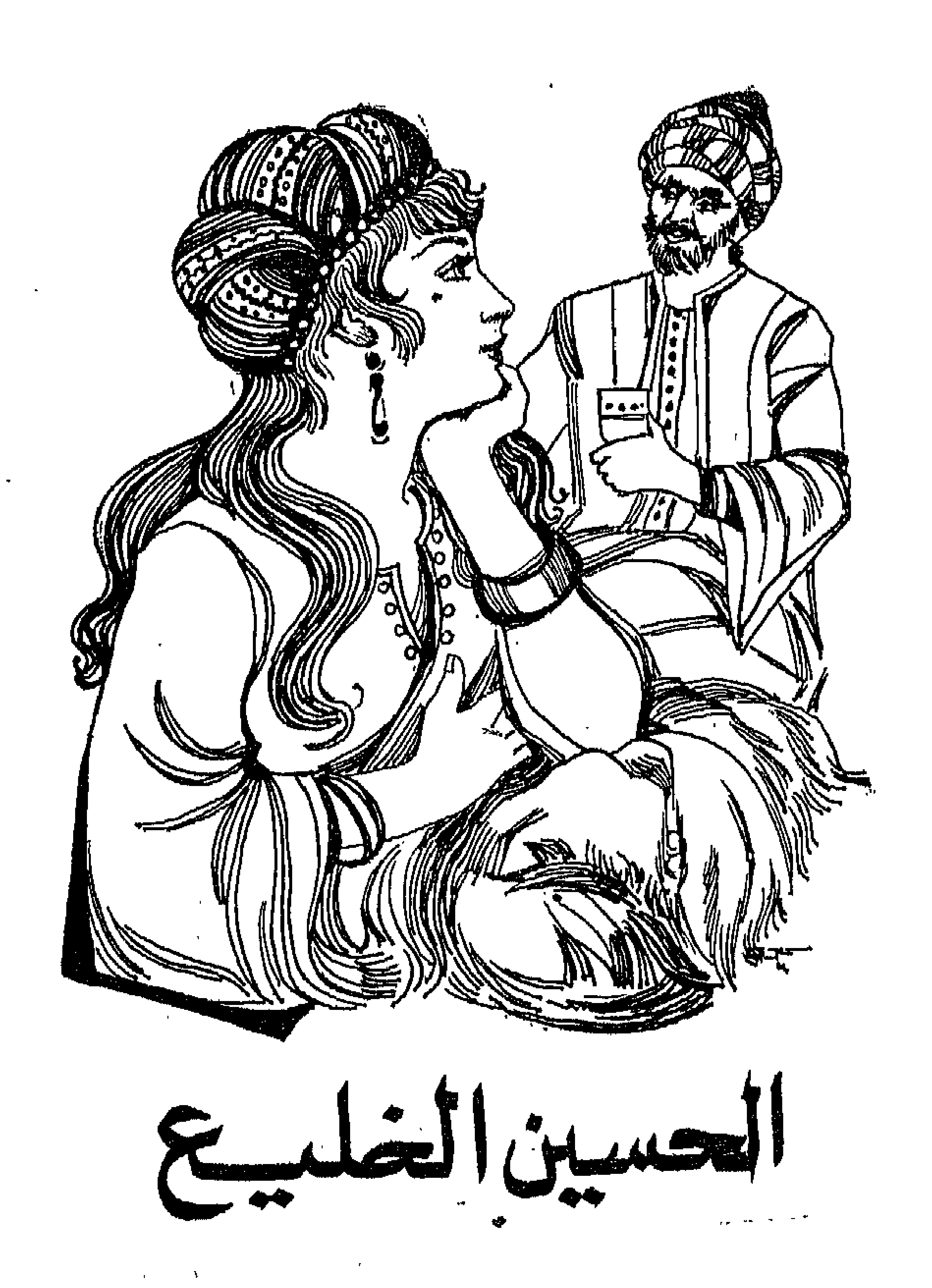
وانك لترى هذه المرارة فى حادث وقع له اذ هو فى حضرة عبد الله بن المعتز ، اذ اعتدى أحمد بن أبى العلاء على جحظة بسباب جارح ، فأمر ابن المعتز جحظة أن يخرج من المجلس حتى يهدأ أحمد .

وخرج مطأطىء الرأس ، كاسف البال ، مهدور الكرامة ، فلم ينم الى أن كتب الى ابن المعتز يقول :

أليس من العجائب ان مثلى
يقام لأحمد بن أبى العلاء
ولى نفس أبت الا ارتفاعا
فأضحت كالسماء على السماء
لقد غضب الزمان على أناس
فأبلاهم بأولاد الزناء

وعلى هذا الحال مات جحظة فى المائة ، لا هو راض عن الدنيا ، ولا الدنيا راضية عنه ، وفى هذا يقول :

يطول على الليل حتى أمله
فأجلس والنوام فى غفلة عنى
فلا أنا بالراضى من الدهر فعله
ولا الدهر يرضى بالذى ناله منى



الحسين الخليع

فمازلت أبسـطه مازحـا
وأفرط في اللهـو حتى ابتسم
وحكمني الـريم في نفسه
بشيء ولـكنه مكتتـم

هو الحسين بن الضحاك ، ولقب بالاشـقر ، كما لقب بالخليع لخلاعته . ولد سنة ١٦٢ ، ومات سـنة ٢٥٠ هـ .

وقد نشأ ــ كما نشأ أكثر أهل المجون ــ في ظـل الدولة العباسية ، وكان على شاكلتهم في أكثر ماكانوا ، فارسي الاصل ، وان كان بصرى المولد والنشأة .
كان ــ كما يصفه أبو الفرج ــ شاعرا أديبـا ظريفا مطبوعا حسن التصرف في الشـعر ، حلو المذهب ، لشعره قبول ورونق صاف .

وكان أبو نواس يفعل به ما يفعله مع غيره من شعراء عصره ... يسطو على معـانيهم ، ويحسن صيـاغتها حتى يحفظها الناس بشعره ، وينكروها على أصحابها الاصلاء .
واننا لنجد من شـعر الخليع أصداء ، لا في شـعر أبي نواس وحده ، ولا في شعر معاصريه وحسـب ، بل ان هذا السطو ليمتد حتى يصل الى عصرنا هذا ...
انظر الى هذين البيتين من خمرياته :
اذا ما المـاء أمكنني
وصفو سـلافة العنب

صببت الفضـة البيـ
ضاء فوق قراضة الذهب

الا يذكرانك ببيت شوقى ، وان كان بيت شـوقى أوفر فى رشاقته :

حف كأسـها الحبيب
فهى فضـة ذهب !

***

كان الخليـع ماجنـا ، وكان اكثر مجونه فى الهيام بالخمر والغلمان ، ولـكنه فى الحق لم يتعرض للدين كما تعرض له غيره من أهل المجون ، وأن لم يحرص عليه حرص المتقين .

على انه تميز بالوفاء لولى نعمته ، الخليفة الامين ، مما أغضب عليه المأمون عنـدما ولى الحكم ، اذ ذكر فرط مدحه للأمين ورثائه له فى أكثر من قصيدة تجاوز فيها الشاعر حدود البكاء على الامين الى ذم المأمون ، كقوله :

هلا بقيت لسـد فاقتنـا
ابدا ، وكان لغـيرك التلف
فلقـد خلفت خلائفـا سـلفوا
ولسـوف يعوز بعدك الخلف

وكقوله :

اطـل حـزنا وابك الامام محمدا
بحزن وان خفت الحسام المهندا
فلا تمت الاشـياء بعـد محمد
ولا زال شمل الملك منها مبددا
ولا فرح المـأمون بالملك بعـده
ولا زال فى الدنيا طريدا مشردا

وقد بلغ من جزعه على الامين انه خولط فى عقله بعد

قتله ، فكان لا يصــدق انه قتل ، ويقول انه مستتر وانه سيعود يوما ما . ويقول فى ذلك :

ســـألونا ان كيف نحن فقلنـــا
من هوى نجمــه فـكيف يكون
نحن قوم أصــــابنا حدث الد
هر ، فظلنــا لريبــه نستكين
نتمنى من الامــــــين ايابا
لهف نفسي وأين منى الامين !

وقد بلغ المأمون بعض ذلك الشعر ، فظل قلبه مغلقا دون الخليع ، وان كان الخليع قد حاول أن يسترضيه بعد ذلك ، فلم يصب كثيرا من التوفيق .

على ان الخليع قد عمر طويلا ، حتى مات المأمون ، وأدرك خلافة المعتصم والواثق والمتوكل ، وناله منهم خير كثير ، وأن كان قد أدركه منهم كذلك وصب كثير .

ومما يؤثر عنه فى أواخر أيامه انه قال :

ضربنى الرشيد فى خلافته لصحبتى ولده (وكان متهتــكا) ثم ضربنى الامين لمايلة ابنــه عبد الله ، ثم ضربنى المأمون لميلى الى محمد (يعنى الهادى) ثم ضربنى المعتصم لمودة كانت بينى وبين العباس بن المأمون ، ثم ضربنى الواثق لشيء بلغه من ذهابى الى المتوكل ، وكل ذلك يجرى مجرى الولع بى والتحذير لى . ثم أحضرنى المتوكل وأمر شفيعا (غلامه) بالولع بى ، فتغــاضب المتوكل على ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ان كنت تريد أن تضربنى كما ضربنى آباؤك ، فاعلم ان آخر ضرب ضربته بسببك . فضــحك المتوكل وقال : بل أحسن اليك يا حسين واصونك وأكرمك .

ولمــا تجاوز الخليع الثمانين ، تقــاعد عن مجونه ، ورجع الى الله ، ومن قوله فى ذلك :

اصبحت من اسراء الله محتبسا
فى الارض نحو قضاء الله والقدر
ان الثمانين اذ وفيت عدتها
لم تبق باقية منى ولم تذر

وذكر النساء فى شعر الخليع قليل ، اذ كان أكثر شعره فى الغلمان ، ولا سيما غلام يقال له « يسر » .

ومن قليلات النساء فى حياته ، مغنية اسمها « فتن » كان يستملحها ويحب صوتها ، ولكنها كانت تجىء اليه دائما فى حراسة خادم اسمه « نجح » يحفظها ولا ينيل الخليع منها شيئا ...

ومرض هذا الخادم يوما ، فجاءت فتن مع خادم غيره ، لين العريكة ، فظفر الخليع ببغيته من فتن ، وقال فى ذلك قصيدة موفورة السحر ... قال :

لا تلمنى على « فتن »
انها كاسمها فتن
فاذا لم أهم بها
فلمن ؟ .. لا بمن اذن
أين ، لا أين ، مثلها
فى جميع الورى سكن
طيب نشر اذا لثـ
ـمت وغنج ومحتضن
وال عشرا من الصبو
ح على وجهها الحسن
وعلى لفظها المنـ
ـون للأم بالفنن
لست أنسى من الفر
يرة اذ بحت بالشجن
قولها اذ سلبتها

عن كثيب وعن عكن
ليس يرضيك يا فتى
من هوى دون أن تهن
فامتزجنا معا مما
زجة الروح للبدن
وكفينا من أن نزا
قب « نجحا » اذا فطن
وأمنـاه أن ينم
وما كان مؤتمن
كل ما كان من حبيـ
ـبك مستظرف حسن

***

ومن أيامه المشهورة فى تاريخ مجونه ، يومه اذ نزل على الحسن بن سهل ، ومد الشراب ، فظلا يشربان ، وساقيهما غلام مليح لم تهبط عنه عينا الخليع .

فلما أدرك الحسن ذلك ، أومأ الى الغلام فاختفى ساعة ثم عاد ، فسأل الخليع فى شوق : أين كان ؟.. قال سرا : كنت فى الحمام ، والحسن هو الذى حبسنى عنك . فقال الخليع لفوره :

وا بأبى أبيض فى صفرة
كأنه تبر على فضه
جرده الحمام عن درة
تلوح فيها عكن بضه
غصن تبدى يتثنى على
مأكمة مثقلة النهضه (١)
كأنما الريش على خده
طل على تفاحة غضه
صفاته فاتنة كلها

---

(١) المأكمة : العجيزة .

فبعضـــه يذكرنى بعضـــه
يا ليتـــه زودنى قبـــلة
أو لا فمن وجنتـــه عضه

فقال له الحسن : قد عمل فيك النبيذ ؟

قال الخليع : لا وحياتك !

قال : هذا شر من ذلك !

ومضى الخليع يرتجل قصيـــدة اخرى ويوغل فى التشبيب والاغراء ، فتغاضب الغلام عن دل، وانصرف، ثم عاد بعد قليـل ، وناوله قدحـا وقال له : اشرب ودع الهذيان .

وقام الحسن لبعض شأنه . واقبـل الغـلام على الخليع فأعطاه بعض النقل ، فقال الخليع : اجعل بدله قبلة . فجعل الغلام يؤمله ولا يعطيه ، ويقترب منه وينسحب ، الى أن كانت لحظة سانحة اختطف فيهـا الحسين قبلة ، فتغاضب الغلام وقال : هـذه حرام عليك . هذا فى حين كان خادم آخر يقال له فرج يهون عليه الامر . قال الخليع :

وبديع الدل قصـرى الفنج
مرة العـين كحيـل بالدعج (١)
سمته شيئا وأصفيت له
بعد ما صرف كأسا ومزج
واســـــتخفته على نشوته
نبـرات من خفيف وهـزج
فتـــأبى وتثنى خجـــلا
وذرا الدمع فنـــونا ونشج
لج فى «لولا» وفى «سوف ترى»
وكذا كفكف عنى وخلج (٢)

---

(١) مره : خلا من الكحل . (٢) كفكف : أعرض .

ذهب الليـــل وما نولنى
دون ان اســفر صــبح وانبلج
هون الامر عليـــــه فرج
بتأنيه ، فســـــقيا لفرج
خمــر النكهة لا من قهوة
ارج الاصــداغ بالمسك ارج .
وبنفسي نفس من قال ، وقد
كان ما كان : حرام وحرج

فلما نام القوم ، وطلع الصبح ، قال الحسن لضيفه كيف كانت ليلتك ؟

قال الخليع :

تألفت طيـف غزال الحرم
فواصلنى بعـد ما قد صرم
وما زلت أقنع من نيـله
بما تجتنيه بنـــان الحلم
بنفسي خيــال على رقبـة
ألم به الشوق فيما زعم
أتانى يجاذب أردافـــــه
من البهر تحت كسوف الظلم
تمج ســـوالفه مســـكة
وعنبرة ريقه والنســـــم
تضمخ من بعــــد تجميره
فطاب من القرن حتى القدم (١)
يقول ونازعتــــــه ثوبه
على أن يقـــول لشيء نعم
ففض الجفــون على نجـله
وأعرض أعراضـــة المحتشم

(١) التجمير : التبخير .

فشـــبكت كفى على كفه
واصـــفيت الثم درا بفم
فنهنهنى ، دفع لا مؤيس
بجد ولا مطمع معتزم
اذا ما هممت فأدنيتـــه
تثنى وقال : لى الويل ، لم ؟
فما زلت ابسـطه مازحـا
وافرط فى اللهو حتى ابتسم
وحكمنى الريم فى نفســه
بشىء ولـكنه مكتتـــم
فواها لذلك من طـــارق
على ان ما كان ابقى سقم

فقال الحسن : يا فاسق ، أظن ما ادعيته على الطيف فى النوم كان فى اليقظة مع الشخص نفســه ، وأصـلح الاشياء لنا بعد ما جرى ان ندحض العار عن انفسنـا بهبة الغلام لك ، فخذه ، لا بورك لك فيه !

فأخذه الخليع وانصرف .

***

أما حكاياته مع غلامه الاثير « يسر » الذى قال فيه اجمل شعره ، فكثيرة . ويسر هـــذا ، خادم لابن هارون الرشيد ...

منها : انه التقى بيسر عنـد بعض أصحابهما ذات يوم على مائدة شراب ، وكان هـذا فى العشر الاواخر من شعبان ، فقال حسين ليسر : ياسيدى ، قد هجم الصوم علينا . فتفضل بمجلس نجتمع فيه قبل هجومه

فوعده بذلك ، واقسم على الوفاء .

وفى اليوم التالى كتب اليه يسأله الوفاء بقسمه ، فأنكره ، فقال الخليع :

تجاسرت على الغـــدر
كعـــاداتك فى الهجـــر
فأخلفت وما استخلفـ
ـــت من اخوانك الزهر
وما أقنعنى فعـــــــ
ـــلك يا مختلق العذر
بنفسى أنت ان سؤت
فلا بد من الصبـــر
ولولا فرقى منـــك
لسـميتك فى الشـعر
أما تخرج من اخـــــ
ـــلاف ميعادك فى العشر
غـدا يفطمنـا الصـوم
عن الراح الى الفطـر

قال الخليع : فلما قرأ الابيات أجاب أحسن جواب وفعل أجمل فعل ، وكان اجتماعنا قبـل الصـوم فى بســتان مولاه ، وتممنا سرورنا وقضينـا أوطارنا الى الليل .

***

وقد حسنت سيرة الخليع لما بلغ به الكبر عتيا ، حتى لقد بعث اليه المتوكل لـكى ينادمه ويلازمه ، فلم يطق ذلك ، فقال الوشاة للمتوكل انه يطيق الذهاب الى القرى والمواخير ، ويأبى أن يكون فى خدمة أمير المؤمنين .

فلما عرف الخليـع ذلك ، بعث الى المتوكل بهـذه الابيات يعتذر بها ، اذ أوشك أن يبلغ التسعين ، فلا قبل له بمنادمة ولا بشراب :

أما فى ثمانين وفيتهـــــا
عذير وان أنا لم اعتـــذر

فكيف وقد جزتها صـاعدا
مع الصـاعدين بتسع أخر
وقــد رفع الله أقلامه
عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصر على فتنة
والحد فى دينــه أو كفر
وانى لمن اسراء الالـــه
فى الارض نصب صروف القدر
فان يقض لى عمـلا صــالحا
أثاب ، وأن يقض شرا ، غفر
فلا تلح فى كبر هــذنى
فلا ذنب لى ان بلغت الكبر
هو الشيب حل بعقب الشباب
فأعقبنى خورا من أشــر
وقد بسـط الله لى عذره
فمن ذا يلوم اذا ما عذر
وانى لفى كنف مغــدق
وعز بنصـــر أبى المنتصـر
يبارى الرياح بفضل السما
ح حتى تبــلد أو تنحسر
له أكد الوحى مــــيراثه
ومن ذا يخالف وحى السور
وما للحســود وأشيـاعه
ومن كذب الحق الا الحجر ؟

وقرا المتوكل الابيــات ، فقر بهــا ، وارســل اليه عشرين الف درهم .



حماد عجرد

لك جار بالمصر لم يجعـــــل الله
له منك حــــرمة الجيـــران
انما معدن الزناة من السفـــــ
ـلة في بيته ومـــأوى الزواني

هو شـــاعر مجيـد من مخضرمى الدولتين الاموية والعباسية ، وان كان قد اشتهر فى الثانية .

نادم الوليد بن يزيد الاموى ، ثم جاء الى بغداد فى أيام المهدى .

قال علی بن الجعد : قدم علينا فى أيام المهدى هؤلاء : حمـاد عجرد ، ومطيع بن اياس ، ويحيى بن زياد ، فنزلوا بالقرب منا ، فكانوا لا يطاقون خبثا ومجانة .

وقال الجرجانى : كان بالـكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون : حماد عجرد ، وحمـاد الراوية ، وحمـاد ابن الزبرقان . يتنادمون على الشراب ، ويتناشـدون الاشعار ، ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا وكأنهم نفس واحدة ، يرمون جميعـا بالزندقة ، وأشـهرهم حماد عجرد .

***

كان حماد عجرد من هؤلاء الزنادقة الذين شـجعهم انحلال الخليفة الاموى ، الوليد بن يزيد ، على المجاهرة بالمعصية ، والاسراف فى طلب اللذة بغير حرج فى الكوفة والبصرة وغيرهما .

وكانوا يجتمعون فى بيوتهم ، أو فى الحـــدائق أو الحانات أو الاديرة ، ولا يجتمعون الا على شراب وغناء وعبث بالنساء والغلمان .

وكانت بين حماد وبشار بن برد مهاجاة متصلة ، وكانا ندين فى النزوع الى الشر وفى سلاطة اللسان ، فكان كل منهما يغرى بالآخر عند ذوى السلطان ، ويرميه بالزندقة دون أن يكون هو نفسه بريئا منها .

وتهاجيهما يصلح لان يكون كتابا بذاته ، ولكننا نجتزيء منه بما يلقى ضوءا على هذه المعركة التى تعد من أسوأ المعارك فى تاريخ الادب .

قال حماد ، يغرى الامير عيسى بن عمرو ببشار :

قل لعيسى الامير عيسى بن عمرو
ذى المساعى العظام فى قحطان
والبناء العالى الذى طال حتى
قصرت دونه يدا كل بان
بابن عمرو ، عمرو المكارم والتقـ
ـوى وعمرو الندى وعمرو الطعان
لك جار بالمصر لم يجعل الله
له منك حرمة الجيران
لا يصلى ولا يصوم ولا يقـ
ـرا حرفا من محكم القرآن
انما معدن الزناة من السفـ
ـلة فى بيته ومأوى الزوانى
وهو خدن الصبيان وهو ابن سبـ
ـعين فماذا يهوى من الصبيان
طهر المصر منه يا ايها المو
لى المسمى بالعدل والاحسان
وتقرب بذاك فيه الى الله
تفز منه فوز أهل الجنان

ثم يوجه الخطاب لبشار بن برد فيقول :

يابن برد ، اخسأ اليك فمثل الـ
ـكلب فى الناس انت لا الانسان
ولعمـــرى لأنت شر من الـكلـ
ـب وأولى منـــــه بكل هوان

وأراد بشار أن يرد الصفعة بمثلها ، فأشاع ان حمادا كان ينشد يوما شعرا ، والى جانبه قارىء يتلو القرآن ، والناس مجتمعون حول القارىء . فصاح حمـاد فى الناس : علام تجتمعون ؟ ان الذى أنشـده لخير مما ينشده !

ثم نظم ــ اى بشار ــ هــذه الابيات يهجوه ويرميه بالشرك :

ابن نهبى ، راس على ثقيـل
واحتمـال الرءوس خطب جليـل
ادع غيرى الى عبـادة الاثنـين
فانى بواحـــــد مشـــغول
يابن نهبى ، برئت منك الى الله
جهـــارا ، وذاك منى قليـــل

فلما شاعت الابيات ، أمعن حماد فى اشاعتها بعد أن عدل عبارة « فانى بواحد مشغول » فجعلها « فانى عن واحد مشغول » مما يثبت عليه الزندقة ... فلما سمع بشار ذلك ارتعد وجزع ، لانه ــ برغم زندقته ــ كان يستسرها ويخشى أن يعرفها ولاة الامور .

وقد عرفت عنه فى النهاية ، وقتل بأمر المهدى .

ومن مقذع هجائه فى بشار ، قوله :

وأعمى يشـــبه القرد
اذا ما عمــى القــرد

وقال الرواة ان بشارا بكى حينما سمع هذا البيت ، فقيل له : لم تبكى ؟ فقـال : يرانى فيصفنى ، وأنا لا أراه حتى أصفه .

ولم يقصر حماد هجاءه على بشار وحده ، بل تجاوزه الى الـكثيرين ، ومنهم مطيع بن اياس ، وابو حنيفة ، ويحيى بن زياد ، وغيرهم . وكانوا جميعـا يخشون لسانه ويترضـونه . ولم يكن يرعى فى ذلك حرمة صداقة قديمة ، فقد كان صـديقا لمطيع ويحيى ابن زياد ، وكثيرا ما مدحهما ونال منهما خيرا ، ولـكنه لم يتورع عن شتمهما فيما بعد .

وقال حماد ، يهجو بكر بن محمد المازنى النحوى ، وهذه اقبح أهاجيـه ، لانها قيلت فى رجـل من ائمة اللغة ، تتلمـذ عليه المبرد ، وقال عنه انه كان بعـد سيبويه اعلم الناس بالنحو :

كادنى المـازنى عنـد ابى العبـا
س ، والفضـل ما علمت كريم
يا شـبيه النسـاء فى كل فن
أن كيـد النسـاء كيـد عظيـم
جمـع المـازنى خمـس خصـال
ليس يقوى بحملهن حليـم (١)
هو بالشـعر والعروض وبالنحـ
ـو وغمـز . . . طب عليم (٢)
ليس ذنبى اليـك يا بكر الا
أن . . . عليـك ليس يقـوم (٣)
وكفانى ما قال يوسـف فى ذا
أن ربى بكيـدهن عليـم ! . .

***

وله ـ الى جانب أهاجيه ـ شعر جميل ، فله فى المدح

(١) قال خمس خصال ، ولم يذكر الخامسة فى القصيدة
(٢) الكلمة المنقوطة قبيحة ، وهى جمع
(٣) هى نفس الكلمة القبيحة ، بالمفرد

هذا القول السائغ :

أرجوك بعد أبى العباس أذ بانا
يا أكرم الناس اعراقا وعيـدانا
فأنت أكرم من يمشى على قدم
وأنضر النـاس عند المحل أغصـانا
لو مج عود على قوم عصارته
لمج عودك فينا المسك والبـانا

وله فى العتاب :

فأقسمت لو أصبحت فى قبضة الهوى
لأقصرت عن لومى وأطنبت فى عذرى
ولـكن بلائى منك انك ناصـح
وأنك لا تـدرى بأنك لا تـدرى

وله فى الغزل :

انى احبـــك فاعلمى
ان لم تكونى تعلمينا
حبـــا أقل قليـله
كجميـع حب العالميـنا

***

اما نهايته ، فاختلف فيها الرواة ، فقيـل ان مولى من موالى محمد بن سليمان قتـله ، لانه كان يكتب الغزل فى أخته زينب ، لا لحسابه ، بل لحساب محمد ابن أبى العبـاس السفاح ، الذى كان يحب زينب ، ولا يحسن الشعر ، فأراد أن يستميلها بشعر حماد ، وكان ينسبه الى نفسه .

وفى رواية أخرى انه أصابته علة طالت عليه ، وأشيع انه مات ، ووصل نعيه لبشار ، فقال :

لو عاش حمـاد لهونا به
لـكنه صـار الى النـار !

فلما سمع حماد هذا البيت ، قال :

نبئت بشـــارا نعاني وللشـــعر
براني الخـــالق البـــاري
يا ليتني مت ولم أهجـــه
نعم ولو صرت الى النـــار
وأي خزي هو أخزي من أن
يقال لي : يا ساب بشار

***

ثم مات حماد ، سنة ١٦١ هـ بالبصرة . وقتل بعده بشار . ودفنا في مكان واحد ، ومر على هذا المكان شاعر بصري يقال له أبو هشام الباهلي ، فقال :

قـد تبـع الاعمى قفـا عجرد
فأصـــبحا جـــارين في دار
قالت بقـاع الارض لا مرحبـا
بقرب حمـــاد وبشـــار
تجاورا بعـــد تجافيهمـــا
ما أبغض الجـــار الى الجـــار
صـــارا جميعـــا في يدي مالك
في النـــار ، والـكافر في النار



الزوزني البحّاث

ليت شـــعرى ، اذا خرجت من
الدنيا فأصبحت ســاكن الاجداث
هل يقولن اخوتى بعــــد موتى
رحم الله ذلك البحـــــائى ؟

هو محمد بن اسحق الزوزنى البحائى القاضى .
كان من أهل العلم ، سنيا متعصبا لاهل السنة ، وله أشعار ومصنفات كثيرة جعلته فى قمة عصره علما وادبا وظرفا وخفة ظل .
وكان الناس يحترمونه مرتين ، مرة لعلمه وفضله ، واخرى لانه كان هجاء ، وكانت له طريقة من الهجاء فى النظم والنثر لم يسبق اليها ، فكان الجميع يخشون مرارة لسانه .
ومع هذا فانه لم يترك أحـدا من الـكبراء والائمة والفقهاء وسائر الناس فى عصره الا هجاه مر الهجاء .
قال عبد الغافر : وكان صديقا لوالدى ، يبيت عنده فى بعض الاحيان ، ويقترح عليه ما يشتهى من الوان الطعـــــام . وكأن والدى يحكى عنه أحواله وتهتكه واشتغاله فى جميع الاحوال بما لا يليق بالعلمــــاء الافاضل . ولـكنه كان يحتمله اتقاء للسانه .
ويمضى عبد الغافر فيقول :
ومما رواه لى والدى عنه انه قال :« ما وقع بصرى قط على شخص الا تصور فى قلبى هجاؤه قبل أن أكلمه واجربه او أخبر أحواله » . وحكى لى بعض من اثق

به انه قال : لم يفلت أحد من هجائى الا القاضى الامام صاعد بن محمد ، رحمه الله . فانى كنت قد صورت فى نفسى أن اهجوه ، فحيث تأملت فى حسن عبادته وكمال فضله ومرضى سيرته ، استحييت من الله تعالى، وتركت ما أجلته فى فكرى »

وروى ياقوت عنه فى معجمه ، انه كان يضع التصانيف عن الاكابر والعلماء ، فيرميهم فيها بما براهم الله منه ، وانه أظهر النسك بين الناس ، ولكنه بالغ فى الافحاش وأغرب فى فنون الهجاء ، وأتى بالعبارات الرشيقة والمعانى الصحيحة من حيث الصنعة ، وان كانت عن آخرها أوزارا وآثاما وكذبا وبهتانا .

وقد اتفق أهل عصره على انه أهجى أهل العصر من الفضلاء ، وأفتقهم شتما قبيحا وتعريضا وتصريحا .

وكان يسكن باعذرا ، وهى قرية من أعمال الموصل، ويخص جماعة سكانها من الائمة بالهجاء ، وله معهم ثارات ومشاغبات يطول شرحها .

من ذلك هجاؤه لرجل اسمه « يوسف » قلب اسمه فسماه « فسوى » وقال فيه :

فسوى وضرطى والخرا مائما
على الذى مقلوبه فسوى
من خلقه أقبح من خلقه
وجحره أوسع من دلوى

وقال يهجو صاحب دعوة :

سألونا عن قراه
فاختصرنا فى الجواب
كان فيه كل شىء
باردا الا الشراب

وله فى هجاء أحد أصحابه المحدثين :

الا ان هـــذا البيهقى محدث
مسيلمة الكذاب فى جنبه ملك
ففى وجهه قبح وفى قلبه عمى
وفى نطقه كذب وفى دينه حلك
لو ابن معين كان حيا لجاءه
وبالسلح، سلح الكلب، لحيته دلك (١)
فلا تعجبا أن مد فى عمر مثله
ويهلك أهل الفضل اذ خرف الفلك

وكان يتعرض بالهجاء كثيرا لرجل من افاضل قومه ، اسمه البارع الزوزنى ، ويقلب اسمه فيسميه بالباعر ، ويدعى انه افترسه ظبيا غريرا ، وافترشه بدرا منيرا ، قال : « فلما التحى أنكرت صحبته ، ونبذت وراء ظهرى مودته » وقال فيه :

كان البويعر بدرا فى حداثته
ما كان أحسنه بدرا وابهاه
والطيب اجمع فيها تحت مئزره
والسحر ما بثه فى الناس عيناه
ربيته وهو فى حجرى الاعبه
نهاره ، وفراشى كان مأواه
أفيده من جنايا العلم أحسنها
وأستفيد لذيذا من جنى فاه
حتى اذا ما عشا جلد آسته وغدا
مشعرا ودجا واسود قطراه
وصار كلبا وخنزيرا وزوبعه

(١) ابن معين ، رجل اشتهر بالكذب ، وقال عنه الامام احمد بن حنبل انه أكذب الكذابين .

وغول قفر يميت الانس لقياه
انشا يمزق عرضى منكرا أدبى
وليس يحسن الا ما أفسدناه
ان كان ينكر ما قدمت من أدبى
فليس ينكر . . . شم مفساه (١)
لو لم تغير صروف الدهر صورته
لكان مغفورة عندى خطاياه

وان أنكرنا منه هذه الكلمة المنقوطة وغيرها فى هذه الابيات ، فينبغى لنا أن ننكر الكثير من شعره وهو حافل بألفاظ الجنس الصريحة ، ومن شهادته على نفسه بأنه كان يمارس عميرة ، قائلا :

ب . . . غزلان الحسان ولا أرى
غزالا من الغزلان فردا بساحتى
فمن يك قد لاقى من ... راحة
ففى راحتى أنسى ورفقى وراحتى (٢)

وشهادته على نفسه باتيان الغلمان ، فى مثل قوله :

ولما رأيت الفقر ضربة لازب
ولم يك لى فى الكف عقد على نقد
ولا لى غلام قد . . . ولم يكن
سبيل الى الترك المكحلة المرد
شريت قبيحا من بنى الهند أسودا
و . . . الهنود السود خير من الجلد (٣)

ومن خبيث شعره فى هذا المجرى قوله :

---

(١) الكلمة المنقوطة ، معناها سواة الرجل .

(٢) الكلمتان المنقوطتان فى هذين البيتين ، هما الكلمة الصريحة وفعلها بالجمع فى البيت الأول ، وفى البيت الثانى المصدر

(٢) الكلمتان المنقوطتان فى البيتين الثانى والثالث ، هما الكلمة الصريحة فى الجنس ــ الجلد : جلد عميرة.

الحمـــــد لله وشــكرا عـــــلى
انعامه الشــــــامل فى كل شي
ان الذى لاعبنى فى الصبـــــــا
مات ، ومن قد . . . بعد حى (١)

وهو فى البيت الثانى يعترف بأنه كان هو نفسه وهو صغير موضعا لعبث الـكبار .

وقد بلغ حب الهجاء بالزوزنى الى حد انه هجا لحيته الطويلة ... قال :

يا لحيــة قــد علقت فى عارضى
لا أسـتطيـع لقبحهـا تشبيهـا
طالت ولم تفلح ولم تك لحية
لتطول الا والحمـــاقة فيهـــا
انى لأظهر للبرية حبهـــــــــا
والله يعلم اننى أقليهـــــــــا

وكان فى تشبيبه بالغلمـــان كثيرا ما يكرر الصـــورة نفسها فى أكثر من قصيدة .

من ذلك قوله :

بأبى من عنـــــد لثمى
زاد فى عشقى بشتمه
ومضى يبـــكى ويمحو
أثر اللثـــم بكمـــــه

ثم قوله بعد ذلك :

بليت بطفـل قـل طـائل نفعـه
سوى قبل يزرى بها طول منعه
ويمسحها من عارضـــــيه بكمه
ويغســـلها من وجنتيــــه بدمعه

(١) الكلمة المنقوطة هى نفس الكلمة الصريحة ، فعلا ماضيا .

يكاشفني ان لاح شخص بعينه
ويغتابني ان مر ذكرى بسمعه

وكان حاذقا فى معاملة الناس ، ويعترف بأنه يماريهم من أجل الرزق ، قائلا :

انى لمرزوق من الناس اذ
اصبحت من أحذق حذاقهم
ما ذاك من فضل ، ولكننى
اخالق الناس بأخلاقهم

ويقول ياقوت ان للزوزني شعرا من الطبقة العليا ، وله قصائد غر ، ومقطعات فى الغزل مأثورة وكان ينسخ كتب الادب أحسن النسخ ، ومنها كتاب يتيمة الدهر فى خمس مجلدات وكتاب « غريب الحديث » لأبى سليمان الخطابى ، وغيرهما من أمهات الكتب .

وهو أول من شرح ديوان البحترى شرحا فريدا .
وكان الزوزنى ، اذ دنت منيته ، يخشى قول الناس فيه بعد وفاته ، ويقول :

ليت شعرى ، اذا خرجت من الد
نيا فأصبحت ساكن الاجداث
هل يقولن اخوتى بعد موتى
رحم الله ذلك البحاثى ؟ ..

***

فلما مات بكاه الناس ، ورثاه أبو سعد بن دوست قائلا :

يا أبا جعفر بن اسحق انى
خانني فيك نازل الاحداث
من هوى من مصاعد العز قسرا
بك تحت الرجام فى الاجداث

فلك اليـوم من قواف حسـان
سرن فى المدح سيرها فى المراثى
مع كتب جمعـن فى كل فن
حين يـروين الف باك وراث
قائل كلهـا بغير لسـان
رحم الله ذلك البحـاثى

وكانت وفاته بغزنة ، سنة ٤٦٣ هـ .



العبرتائ

وزير لا يفيق من الرقـــــاعة
يولى ثم يعزل بعد ســـــاعة
اذا أهل الرشــــا صاروا اليه
لأحظى القوم أوفرهم بضـــاعه

هو علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام ، أبو الحسن العبرتائي ، نسبة الى بلدة « عبرتا » .

كان حسن البديهة ، شاعرا ماضيا أديبا لا يسلم من لسانه أحد ، حتى لقد هجا كل من أحسن اليه ، ولم يسلم من هجوه أبوه نفسه .

وشر من ذلك ، انه كان يصنع الشعر في النيل من الرؤساء ، وينسبه الى ابن الرومي وغيره من معاصريه.

من ذلك قوله يخاطب عبيد الله بن سليمان الوزير ، وقد مات ابنه أبو محمد :

قل لأبي القاسم المرجى
قابلك الـــــدهر بالعجائب
مات لك ابن ، وكان زينا
وعاش ذو الشين والمعايب
حيــاة هـــذا كفقد هـــذا
فلست تخلو من المصـائب

قال هذه الابيات ، ونسبها الى ابن الرومي . فلما بلغت عبيـد الله ساءته ، فدعا العبرتائي وقال له : يا علي ، كيف قلت . . ؟

فأدرك انه مغضب ، فقال : قلت أيها الوزير :

قــل لأبى القاسـم المرجى
لن يدفع الموت كف غالب
لئن تــولى بمن تــولى
وفقــده أعظم المصــائب
لقــد تخطت لك المنــايا
عن حــامل عنــك للنوائب

ويعنى ولده الآخر أبا الحسين ، فسكت عبيد الله ، وغفر له .

ومن مر هجائه ، قوله فى الوزير الخاقانى :

وزير لا يفيق من الرقاعه
يولى ثم يعزل بعد ساعه
اذا اهل الرشا صاروا اليه
فأحظى القوم أوفرهم بضاعه
فلا رخما تقرب منه خلقــا
سوى الورق القحاح ولا شفاعه
وليس بمنكر ذا الفعل منه
لأن الشيخ أفلت من مجاعه

وكان مع فصاحته وبيانه ، لا حظ له من التطويل ، فجل قصائده مقطعات قصار .

وكانت له الى جانب الشعر تصانيف جليلة ، ابرزها كتاب « أخبار عمر بن أبى ربيعة » وكتاب المعاقرين ، وكتاب ديوان رسائله ، وكتاب مناقضــات الشعراء ، وكتاب أخبار الاحوص .

***

وكان كثير الاســاءة للمحســنين له ، كما أسلفنــا القول .

من ذلك ما رواه ابن حمدون النديم ، قال :

كان المعتضد قد أمر بعمارة البحيرة واتخاذ رياض حواليها ، وأنفق على الابنية بها ستين ألف دينار .

وكان يخلو فيها مع جواريه ، وفيهن جارية اثيرة يقال لها دريرة ، فقال العبرتائى :

ترك الناس بحيره
وتخلى فى البحيره
قاعد يضرب بال . . .
على . . . دريره (١)

وبلغ البيتان المعتضد ، فلم يظهر لأحد انه سمعهما ، وامر بتخريب ما استعمره من تلك العمارات والابنية .

قال ابن حمدون : فكنت ألاعب المعتضد بالشطرنج ذات يوم ، اذ دخل عليه القاسم بن عبيد الله ، وهو وزيره ، فاستأمره فى شىء وانصرف . فلما ولى ، أنشد المعتضد قول العبرتائى فى القاسم :

حياة هذا كموت هذا
فلست تخلو من المصائب

وجعل يكرر البيت وهو يلعب ، حتى عاد القاسم ، والمعتضد غير منتبه اليه ، يلعب ويردد البيت .

قال ابن حمدون : فاحتلت حتى أعلمته بحضوره ، فرفع رأسه اليه واستحياء منه ، ثم قال له : يا ابا الحسين ، لم لا تقطع لسان هذا الماجن وتدفع شره عنك ؟ . .

فانصرف القاسم مبادرا الى مجلسه ، فطلب العبرتائى . . .

قال ابن حمدون : فدهشت وارتعشت يدى فى اللعب خوفا مما يلحق بالعبرتائى ، للقرابة التى بينى وبينه . فقال المعتضد : مالك ؟ . . قلت :

يا أمير المؤمنين ، القاسم لا يصطلى بناره ، وكأنى به وقد قطع لسان العبرتائى حنقا عليه ، وهو أحد

(١) الكلمتان المنقوطتان هما سوأتا الرجل والمرأة .

النبلاء الشعراء ، فيكون ذلك سبة على أمير المؤمنين .
فأمر المعتضد باحضار القاسم ، وسأله عما فعله فى أمر العبرتائى ، فقال : لقد أمرت باحضاره لأقطع لسانه . قال المعتضد : انما أمرناك أن تقطع لسانه بالبر والصلة والتكرمة ، ليعدل عن هجائك الى مدحك.
قال : يا أمير المؤمنين ، لو عرفته حق المعرفة ، وعلمت ما قاله فيك وفى البحيرة ودريرة ، لأجزت قطع راسه .
فتبسم المعتضد وقال : انما أمرنا بتخريب البحيرة لذلك . فتقدم أنت باحضاره ، وأخرج له ثلثمائة دينار، فان ذلك أولى وأحسن من غيره .
قال ابن حمدون : فأحضره القاسم وخلع عليه ، وولاه بريد الصميمرة وما والاها ، فبقى فى عمله الى آخر أيام المعتضد . ثم جمح به طبعه الى اعادة الاساءة ، فقال :

ابلغ وزير الامام عنى
وناد ياذا المصيبتين
يموت خلف الندى ويبقى
وأنت من ذا سخين عين
حياة هذا كموت هذا
فالطم على الرأس باليدين

ومن حكاياته وهو يتولى البريد، ان أخا أبى صخرة ، عامل المدينة ، أهدى اليه فى ليلة عيد الاضحى بقرة للأضحية ، فاستقلها العبرتائى وردها اليه مع رقعة كتب عليها :

كم من يد لى اليك سالفة
وأنت بالحق غير معترف
نفسك أهديتها لأذبحها
فصنتها عن مواقع التلف !

وكان من تهتكه انه كان يحب الغلمان ، وهو يروى عن نفسه هذه الحكاية :

كنت أتعشق خادما لخالى أحمد بن حمدون، فقمت اليه ليلة لأدب عليه ، فلما اقتربت منه لسعتني عقرب ، فصرخت ، فقال خالى : ما تصنع ها هنا ؟ ..

فقلت : جئت لأبول . فقال : صدقت ، ولكن تبول في . . . غلامى ، فقلت لوقتى :

ولقد سريت مع الغلام لموعد
حصلته من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق مغذة (١)
سوداء قد عرفت أوان ذهابى
لا بارك الرحمن فيها عقربا
دبابة دبت على دباب

***

ويبدو انه تاب عن تهتكه في شيخوخته ، فجعل يقول مثل هذا القول الرزين :

أقصرت عن طلب البطالة والصبا
لما علاني للمشيب قناع
لله أيام الشباب ولهوه
لو أن أيام الشباب تباع
فدع الصبا يا قلب واسل عن الهوى
ما فيك بعد مشيبك استمتاع
وانظر الى الدنيا بعين مودع
فلقد دنا سفر وحان وداع
فالحادثات موكلات بالفتى
والناس بعد الحادثات سماع

ومات العبرتائى عن نيف وسبعين سنة ، وكان ذلك سنة ٣٠٢ هـ .

---

(١) مغذة ، من أغذ أى أسرع السير ، ويقصد العقرب



عمر بن أبي ربيعة

وذو الشوق القديم ، وان تعزى
مشوق حين يلقى العاشقينا

ويكنى « أبا الخطاب » . . .

وهو شاعر قرشي ، فاتن السمت ، عريق النسب ، ولد يوم مقتل عمر بن الخطاب ، ولهـذا يقول فيه خصومه : أى حق رفع ، وأى باطل وضع ، فى ذلك اليوم !

وقد عاش طويلا ، حتى شارف الثمانين ، ويقال انه قضى نصف عمره متهتكا ، ونصفه الآخر ناسكا .

ولكن تهتكه كان أكثر ما يكون فى فرط مغازلته للنساء ، حتى انه لم يتورع عن مطاردتهن وهن يؤدين مناسك الحج والعمرة .

وكانت العرب تقر لقريش بالتقدم على سائر القبائل فى كل شىء الا الشعر ، حتى كان عمر بن أبى ربيعة ، فأقر لها العرب بالشعر أيضا .

على انه لم يتفوق على غيره فى مجال من مجالات الشعر الا الغزل ، وقد اعترف له بهذا أكثر معاصريه ، فقال جرير عنه انه أنسب الناس ، أى أجملهم تسيبا .

وكان حماد الراوية مفتونا بشعر عمر ، حتى لقد قيل له ذات يوم ان هناك رجلا لا يعجبه شعر عمر ، فأجاب بقوله : اذهبوا بنا اليه .

قالوا : ماذا تصنع به ؟ ..

قال : ننزوا على أمة لعلها تأتى بمن هو أمثل من عمر ! ..

ويصفه أحد معاصريه بقوله :

« راق عمر بن أبى ربيعة الناس ، وفاق نظراءه ، وبرعهم بسهولة شعره ، وشـدة الاسر ، وحسن الوصف ، ودقة المعنى ، وصواب المصدر ، والقصد للحاجة ، واستنطاق الربع ، وانطاق القلب ، وحسن العزاء ، ومخاطبة النساء ، وعفة المقال ، وقلة الانتقال ، واثبات الحجة ، وترجيح الشك فى موضع اليقين ، وطلاوة الاعتذار ، وفتح الغزل ، ونهج العلل ، وعطف المساءة على العزال ، وقد أحسن التفجع ، وبخل المنازل ، واختصر الخبر ، وصدق الصفاء ، ان قدح أورى ، وان اعتذر أبرأ ، وان تشكى أشجى ، وأقدم عن خبرة ، ولم يعتذر بفرة ، وأسر النوم ، وغم الطير ، واغذ السير ، وحير ماء الشباب ، وسهل وقول ، وقاس الهوى فأربى ، وأبرم نعت الرسل وحذر ، وأعلن الحب وأسر ، وبطن به وأظهره ، وألح وأسف ، وأنكح النوم ، وجنى الحديث ، وضرب ظهره لبطنه ، وأذل صعبه ، وقنع بالرجاء من الوفاء ، وأعلى قاتله ، واستبكى عاذله ، ونفض النوم ، وأغلق رهن منى وأهدر قتلاه ، وكان بعد هذا كله فصيحا »

وهذا الوصف ، الذى لم يقله أحد فى شاعر آخر فى اى عصر ، وفيه ما فيه من المبالغة ، ومن التناقض فى بعض مواضعه ، يدل بوجه عام على أن عمر كان محبوبا من معاصريه ، ومن أبناء صنعته بخاصة ، لانه كان لا يتكسب بالشعر كغيره ، وكان له من حسبه ونسبه وماله وجماله وظرفه ولطفه ما يحشد حوله قلوب الرجال والنساء ، حتى انه ليقول ان اللواتى عشقنه من النساء كن أكثر ممن عشقهن هو .

ويحاول بعض النقاد أن ينفى عن عمر مغامراته مع

النساء ، أو أن يخفف منها ، فيقول انها كانت مناورات عذرية . ولكننا نأخذ عمر باعترافه فيما قاله لأبى سمرة الروماني ، اذ قال انه — أى أبا سمرة — كان يطوف بالبيت ، فرأى شيخا فى الطواف ، هو عمر ابن أبى ربيعة فى شيخوخته ، فقبض على يده وقال له : يابن ربيعة ، أكل ما قلته فى شعرك فعلته ؟ ..

قال : اليك عنى ...

قال : أسألك بالله ...

قال : نعم ، وأستغفر الله !

وكان سليمان بن عبد الملك يسأل عمر : ما يمنعك من مدحنا ؟ .. فيجيبه عمر بقوله : انى لا أمدح الرجال ، انما أمدح النساء .

وكان رجال قريش يخشون على نسائهن من شعر عمر .

قال ابن جريج : ما دخل على العواتق (أى الفتيات الناضجات) فى مجالهن شىء أضر عليهن من شعر عمر ابن أبى ربيعة .

وقال هشام بن عروة : لا ترووا فتياتكم شعر ابن أبى ربيعة ، لا يتورطن فى الزنا تورطا !

***

ولا نستطيع أن نجزم بما كان من أمر نسكه فى شيخوخته ، أهو عن عفة أو عن عجز ، ولعل فى قوله ما يقرب لنا الظن الثانى ، اذ يقول : لقد كنت وأنا شاب أعشق ولا أعشق ، فاليوم صرت الى موارأة الحسان الى الممات .

ومما يرجح هذا الظن ، انه رأى فى الطواف شابين وسيمين ، فسألهما من يكونان ؟ فلما عرفهما ، قال لهما : انى موكل بالجمال أتبعه ، وانى رأيتكما فراقنى

حسنكما وجمالكما . فاستمتعا بشبابكما قبل أن تندما عليه .

ويروى عنه انه كان مع الوليد بن عبد الملك في ركب، وحرك عمر رداءه ليصلحه على كتفه ، فرأى الوليد على منكبه أثرا ، فقال له : ما هذا الاثر ؟ ..

قال : كنت عند جارية ، اذ جاءتني جارية برسالة من عند جارية أخرى ، فجعلت تسارني . فغارت التي كنت أحدثها فعضت منكبي . فما وجدت ألم عضها من لذة ما كانت تلك تنفث في أذني ، حتى بلغت ماترى .

وضحك الوليد ، فلما رجع عمر من الركب ، قيل له : ما الذي كنت تحدث به أمير المؤمنين فأضحكه ؟..

قال : ما زلنا في حديث الزنا حتى رجعنا .

***

كان من معاصريه جميل بثينة ، شاعر الغزل المأثور . ولكنه كان يعترف لعمر بالسبق . اجتمعا يوما بالابطح ، فأنشد جميل قصيدته التي مطلعها :

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي
بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
يقولون : مهلا يا جميل ، وانني
لأقسم مالي عن بثينة من مهل

وأكمل القصيدة ، ثم سأل عمر أن ينشد من هذا الروى ، فقال عمر :

جرى ناصح بالود بيني وبينها
فقربني يوم الحصاب الى قتلي (١)
فطارت بحد من فؤادي وقارنت
قرينتها حبل الصفاء الى حبلي
فقالت : وأرخت جانب الستر انما

---

(١) الحصاب : موضع رمى الجمار .

معى فتكلم غير ذى رقبة أهلى
فقلت لها : ما بى لهم من ترقب
ولكن سرى ليس يحمله مثلى

وأكمل القصيدة المعروفة ، فقال له جميل : هيهات أبا الخطاب ، لا أقول والله مثل هذا أبدا . والله مايخاطب النساء مخاطبتك أحد .

وقام مشمرا ...

***

وكان عمر كريما مفداقا ...

يحكي انه هام بامرأة فواعدها ، فلما جاءه رسول يبشر بقدومها ، أعطاه مائة دينار .

ويروى عنه انه بعد أن كبر ، رأى رجلا يكلم امرأة فى الطواف ، فلامه على هذا وسأله أن يرعى حرمة المكان — وهو ما لم يفعله عمر فى شبابه — فقال له الرجل : انها ابنة عمى ...

قال عمر : هذا أشنع ...

قال : انى خطبتها لعمى ، فطلب أربعمائة دينار صداقا ، وأنا غير مطيق ذلك .

وشكا اليه من حبها وكلفه بها ، فسار عمر معه الى عمه ، فأعطاه الصداق ، وزوجها له .

وحينما دبت الشيخوخة فى أوصال عمر ، تاب عن الشعر وحلف الا يقول بيت شعر الا أعتق رقبة .

وذات ليلة ، هيجت جارية له نزوعه الى الشعر ، فقال :

تقول وليدتى لما رأتنى
طربت وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت شوقا
وهاج لك الهوى داء دفينا

وكنت زعمت أنك ذو عزاء
اذا ما شئت فارقت القرينا
بربك هل أتاك لها رسول
فشاقك أم اقيت لها خدينا
فقلت : شكا الى أخ محب
كبعض زماننا اذ تعلمينا
فقص على ما يلقى بهند
فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وان تعزى
مشوق حين يلقى العاشقينا
وكم من خلة أعرضت عنها
لغير قلى وكنت بها ضنينا
أردت بعادها فصردت عنها
ولو جن الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعة من رفيقه فأعتقهم ، لكل بيت عبد او جارية !

***

ولو أردنا ان نعد النساء فى حياة عمر ، لاعيانا العد ، ولكل منهن نصيب فى شعره حتى ان ابنة الخليفة لم تسلم منه .

ذلك ان فاطمة بنت عبد الملك بن مروان قدمت الى مكة للحج ، فجعل عمر يدور حولها ويسمعها من شعره فيها دون أن يبوح باسمها خوفا من غضب الخليفة الذى حذرها منه وتوعده ان تعرض لها ..

فلما قضت حجها وارتحلت ، قال عمر ، وهذه من أرق غزله :

كدت يوم الرحيل أقضى حياتى
ليتنى مت قبل يوم الرحيل

لا أطيق الـكلام من شدة الخو
ف ، ودمعى يسيل كل مسيل
ذرفت عينهـــا وفاضت دموعى
وكلانا يأتى بوجد أصيـــل
لو خلت خلتى أصـــبت نوالا
وحديثـــا يشفى مع التنويل
ولظـــل الخلخـــال فوق الحشـــايا
مثل أثناء حيـــة مفتول
فلقـــد قالت الحبيبة : لولا
كثرة النـــاس جزت بالتقبيـــل



مطيع بن إياس

ان تشتـــه فســـادا
فعنـــدنا فســـاد
أو تشتـــهه غـــلاما
فعنـــدنا زيـــاد
ما ان به التـــواء
عنـــا ولا بعـــاد

هو شاعر من مخضرمى الدولتين الاموية والعباسية. وكان ظريفا خليعا ، حلو العشرة ، مليـح النـادرة ، ماجنا ، متهما فى دينه بالزندقة ، ويكنى آبا سلمى .

وقد ولد ونشأ بالـكوفة ، الا انه فلسطينى الاصل ، اذ جاء أبوه الى العراق مع من أمر بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف فى وقت قتاله مع ابن الزبير وابن الاشعث ، فاستقر بالـكوفة ، وتزوج ، وولد له مطيع .

ومن جداته امراة اسمها « أم خارجة » سـار بها المثل ، اذ يقال « أسرع من نكاح أم خارجة » لانهـا كانت مزواجة كثيرة الاولاد .

ويروى أحد الرواة أن شيخا من أهل الـكوفة قدم على البصرة ، وكان يحدث عن أبنـاء مطيـع بن اياس ويحيى بن زياد وحماد الراوية وسائر ظرفاء الـكوفة ويروى الـكثير عن أعاجيبهم وظرفهم ، فلم يكن يحدث عن أحد بأحسن مما كان يحدث عن مطيع .

قال الراوى : فقلت له ، كنت والله أشتهى أن ارى مطيعا .

فقال : والله لو رأيته للقيت منه بلاء عظيما ...
قال : وأى بلاء ألقاه من رجل أراه ؟
قال : كنت ترى رجلا لا يصبر عنه العاقل اذا رآه ، ولا يصحبه أحد الا افتضح به .
وسئل أحد أصحابه عنه ، فقال : لا تسألنى عن رجل اذا حضر ملكك ، واذا غاب عنك شاقك ، واذا عرفت بصحبته فضحك .
وذكر حكم الوادى ، المطرب المشهور ، انه غنى الوليد بن يزيد ذات ليلة وهو غلام حديث السن هذه الابيات :

أكاليلها ألوان
ووجهها فتان
وخالها فريد
ليس لها جيران
اذا مشت تثنت
كأنها ثعبان

فطرب الوليد أيما طرب ، وسأل عن صاحب هذا الشعر ، فقيل له انه شاعر بالكوفة ، اسمه مطيع ابن اياس ، فبعث رسولا الى الكوفة أتى به ، فقبله فى فيه وبين عينيه ، واتخذه نديما ، وشرب معه ، وسمع منه ، وأجزل له العطاء .
وكان مطيع ويحيى بن زياد وابن المقفع ووالبة ابن الحباب يتنادمون ولا يفترقون ، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا بملك ، وكانوا جميعا يرمون بالزندقة .
ويروى النوفلى ان مطيعا كان مأبونا ، فدخل عليه قوم فلاموه على فعله ، وقالوا له : انت فى أدبك وشرفك وسؤددك ترمى بهذه الفاحشة القذرة ؟ فلو أقصرت عنها ! ..

فقال : جربوه أنتم ، ثم دعوا ان كنتم صادقين .
فانصرفوا عنه قائلين : قبح الله فعلك وعذرك ! ..
ودعاه حماد عجرد ذات ليلة الى سهرة مع صديقة له من المغنيات ، اسمها ظبية الوادى ، واشترط عليه ألا يتكلم أو يتظرف حتى لا يفسدها عليه .
ووعد مطيع . ولكنه أخل بالوعد ، وتكلم وتظرف حتى أفسد الجارية على حماد ، فسادا أدى بهما الى الخصام .
وخرج مطيع يهجو حمادا قائلا للجارية :

ألا يا ظبيـــــة الوادى
وذات الجســـد الرادى (١)
وزين المصـــر والـــدار
وزين الحى والنـــــادى
وذات المبســـم العـــذب
وذات المبســـم البـــادى
أما بالله تســـــتحيـــ
ـــين من خـــلة حمـــاد
فحمـــــــاد فتى ليس
بذى عز فتنقـــــــادى
ولا مـــــال ولا عـــــز
ولا حـــــظ لمرتـــــاد
فتـــــوبى واتقـــى الله
وبتى حبـــــل عجراد
فقـــد ميزت بالحســـن
عن الخلـــق بافـــراد
وهـــــذا البين قد حم
فجودى منـــــك بالزاد

(١) الرادى : البهى .

وقد شاعت القصيدة وغناها المغنون وافتضح بها حماد المسكين .

وشبيه بذلك ما يروى عنه من ان يحيى بن زياد قال له : انطلق بنا الى فلانة صديقتى ، فان بينى وبينها مغاضبة ، لتصلح بيننا ، وبئس المصلح انت ! ..

فدخلا عليها ، فأقبلا يتعاتبان ، ومطيع ساكت ... حتى اذا أكثر ، قال يحيى لمطيع ، ما يسكتك ، اسكت الله صوتك ؟

فقال لها مطيع :

أنت معتلة عليه ، وما زا
ل مهينا لنفسه فى رضاك

فأعجب يحيى مما سمع ، وذهش له ، فمضى مطيع يقول :

فدعيه وواصلى ابن اياس
جعلت نفسه الفداة فداك

فقام يحيى اليه بوسادة فى البيت ، فما زال يجلو راسه بها ويقول : ألهذا جئت بك يا ابن الزانية ؟ ..

وما زال يحيى يضرب ومطيع يستغيث والجارية تضحك ، حتى تركه وقد داخ .

ومن مجونه انه مر بيحيى بن زياد وحماد الراوية وهما يتحدثان ، فقال لهما : فيم انتما ؟

قالا : فى قذف المحصنات . قال : أو فى الارض محصنة فتقذفانها ؟

وروى عوف بن زياد انه كتب لمطيع ذات يوم يقول له : « أنا اليوم نشيط للشرب ، فان كنت فارغا فسر الى ، وان كان عندك نبيذ طيب ، وغناء جيد ، جئتك »

فجاءته رقعته وعنده حماد الراوية وحكم الوادى ، ومعهم غلام أمرد اسمه زياد ، فكتب اليه مطيع يقول :

نعم ، لنــا نبيــــذ
وعنـــــدنا حمـــاد
وخـــيرنا كثـــير
والخـــير مســـتزاد
وكلنـــا من طـــرب
يطـــير أو يـــكاد
وعنـــدنا واديـنـــا
وهو لنـــا عمـــاد
ولهـــونا لـــذيـــذ
لم يلهـــه العبـــاد
ان تشتـــه فســـادا
فعنـــدنا فســـاد
أو تشـــــته غلاما
فعنـــــــدنا زياد
ما ان به التـــواء
عنـــا ولا بعـــاد

فلما قرأ عوف الرقعة صار اليهم فأتم يومه معهم .

***

ومن اقبح شأنه فى الزندقة ، انه اجتمع بيحيى بن زياد وبعض صحابه ، فشربوا أياما تباعا . فقال لهم يحيى ليلة من الليالى وهم سكارى : ويحكم ، ما صلينا منذ ثلاثة أيام ، فقوموا بنا حتى نصلى

فقالوا : نعم .

فقام مطيع فأذن وأقام .

ثم قالوا : من يتقدم ؟ (١)

فتدافعوا ذلك ، فقال مطيع للمغنية : تقدمى فصلى بنا . . .

فتقدمت تصلى بهم . وعليها غلالة رقيقة مطيبة بلا

(١) يتقدم : يكون اماما .

سراويل ، فلما سجدت بانت سوأتها ، فوثب مطيع وهى ساجدة ، فكشف عن سوأتها وقبلها وقطع صلاته ، ثم قال :

ولما بدا . . . جـاثما
كراس حليق ولم يعتمد (١)
سجدت اليه وقبلته
كما يفعل الساجد المجتهد

فقطعوا صلاتهم وضحكوا وعادوا الى شرابهم .

***

الى هذا الحد بلغت به الزندقة ، ويبدو انه لم يكن يدعيها تظرفا ، وانما كان مؤمنا بها ، أخذها عن بعض كتب الزنادقة فحفظها ولقنها أولاده .

وقد أصابته فى كبره علة أقعدته ، فلبس لها ثيابا خضرا ، وجلس على فرش خضر ، وقال له الطبيب : أى شىء تشتهى اليوم ؟

قال : أشتهى الا أموت .

ومات بعلته هذه ، بعد ثلاثة أشهر مضت له من خلافة المهدى .

---

(١) الكلمة المنقوطة ، معناها سواة " اة .



والبة بن الحباب

لها ، ولا ذنب لهـــــا
حب كـــاطراف الرمـــاح
جرحت فؤادى بالهـــوى
فـــالقلب مجـــروح النواحى

لو لم يكن والبة ، ما كان أبو نواس .

هو الذى أفسده ، وهو الذى جعل منه شاعرا يملأ الـكون .

وقد روينا طرفا من هذه السيرة ونحن نتحدث عن أبى نواس ، أما هنا ، فقد آن لنا أن نتوسع فى هـذا الحديث .

كان والبة من أهل الـكوفة . وكان له ابن عم اسمه أبو بجير الاسدى . وكان أبو بجير هذا عامل الخليفة أبى جعفر المنصور على الاهواز .

كان والبة فى زيارته يوما بالاهواز ، حينمـا هبـط عطار من البصرة ، يعرض عطوره على أبى بجير . وكان مع العطار غلامه الحسن بن هانىء ــ الذى أصـــبح أبا نواس فيما بعد ــ فوقع نظر الشاعر الغزل الماجن على الغلام ، فاستملحه من النظرة الاولى .

وتحدث اليه ، فلمس ما عنده من معرفـة وذكاء وحب للشعر وتطلع الى مكانة فيه .

وتساءل الغلام : ومن انت ؟

قال : أنا والبة .

فصاح الغلام متهللا : أنا والله ، جعلت فداك ، فى طلبك . وقد أردت الخروج الى الـكوفة والى بغـداد من أجلك . وان بى شهوة للقائك ، لأبيات لك تقول فيها :

لهـــا ، ولا ذنب لهـــا .
حب كأطـــــراف الرماح .
جرحت فـــؤادى بالهوى
فالقلب مجـــروح النواحى

***

حينمـــا جاء محمـــد بن أبى العبـــاس السفاح الى البصرة ، عاملا عليها من قبل الخليفة أبى جعفر المنصور سنة ١٤٧ هـ ، جاءت معه جماعة من الشعراء والمغنين، وأصحبه عمه المنصور، داهية بنى العباس، قوما تعاب صحبتهم ، فكلهم من أهل الزندقة والمجون، وغايته من ذلك أن يبغض ذلك الناس فيه ، فيرتفع ابنه المهـدى عند الناس .

كان من هؤلاء المـاجنين الخلعاء ، حماد عجرد ووالبة وأشباههما من المنكبين على الخمر والفسوق مع محمد السفاح .

وكان محمد يحب أن يسمع الحكم وهو يغنى له من شعر والبة مثل هذه الابيات :

قد قابلتنـــا الـكؤوس
ودابرتنــــــا النحوس
واليـــــوم هو نيروز
قـــد عظمتـــه المجوس
لم تخطه فى حســـاب
وذاك مما تســـــوس

فيطرب الامير لمـــا يسمع ، ويزيد شرابا ويزيدون

وبمثل هـــذه الابيات اشتهر والبة وذاع صيته بين اهل البصرة .

وكان والبة فى نسبته من بنى أســـد ، فهو عربى قح ، ولـكنه كان مع ذلك أشبه بالموالى الروم منـــه بالعرب ، فهو أشـــقر ، أبيض اللون محمره ، ذهبى

الشعر ، واننا لنستدل على هذا الوصف من هجاء أبى العتاهية له :

وابن الحباب صليبة زعموا
ومن المحال صليبة أشقر (١)
ما بال من آباؤه عرب الالـ
ـوان يحسب من بنى قيصر
اترون أهل البدو قد مسخوا
شقرا ؟ أما هـذا من المنكر ؟
اكذا خلقت أبا أسامة ، أم
لطخت سالفتيك بالعصفر ؟
مالى رأيت أباك أسود غر
بيب الفدال كأنه زرزر (٢)
وكأن وجهك حمرة ، رئة
وكأن رأسك طائر أصفر

وقد تعرض والبة للكثير من هجاء الشعراء ، لغرابة لونه فيهم ، ولقبح سيرته فى الناس .

ثم انه كان فى الكوفة ــ وهى يومئذ من قواعد العلم والدين ــ متباعدا عن العلماء والفقهاء والمحدثين وأصحاب الاجتهاد فى الدين ، ملازما لامثاله من الرقعاء العاكفين على الشراب والجوارى والغلمان ، وقد يسكرون فيعربد بعضهم على بعض ، ويقولون فى ذلك شعرا لا حياء فيه . وقد يتهاجون فيفحشون فى القول الى غير حد .

وكان والبة بعد ذلك متلافا يسرف فى الانفاق على الملذات من خمر وطعام وجوار وغلمان ، وعلى دعوة اضرابه لكل ذلك ، برغم انه لم يكن واسع الثراء ،

(١) صليبة : عربى قح
(٢) غربيب ، حالك السواد ــ الفدال : مؤخر الرأس ــ زرزر : طائر اسود .

ولا قريبا من الخلفاء ، فكان عماده فى الرزق ، أن يتقرب الى من هم على شاكلته من عمال الخلفاء ، كابن عمه أبى بجير الاسدى عامـــل الاهواز . فاذا نضب معين هؤلاء ، لم يستح ان يطلب الصلات من أصحابه الماجنين كحماد عجرد ، الذى أمله مرة وسوفه ، فكتب والبة اليه يقول :

حمـاد ، ما كانت عداتك بالعـدات الـكاذبه (١)
فعلام ياذا المـكرمات وذا الغيوث الصائبه
أخرت ، وهي يسـيرة فى الرد ، حاجـة والبه
فأبو اسـامة حقه احـد الحقوق الواجبـه
فاسـتحى من ترداده فى حاجـة متقـاربه
ليسـت بكاذبة ولو والله كانت كاذبه
فقضيتها احمـدت غب قضائها فى العاقبـه

وما أن قرأ حماد الابيات ، حتى أحس أنه أصبح ممدوحا كما يمدح الخلفاء والامراء ، فقضى حاجـة والبة .

***

ويحدثنا ابن منظور عن والبة حينما رأى ابا نواس فلاما لاول مرة ، فيقول : « فرأى بدنا حسنا ، وكان جميل الوجه ، وحسن البدن ، فأطار عقله » .

ومنـــذ يومئذ تولى والبة أمر ابى نواس ، وعلمه الشعر والمجون وهو غلام ، وكان بينهما عشرة سيئـة لم يتحرج الاصبـــهانى من روايتها بصراحة فى كتابه « الاغانى » ... بل ان أبا نواس نفسه لم يتحرج من الاعتراف بها بكل صراحة ، وفى روايته ما يدلنا على ان استاذه والبة هو الذى هيأ له هذا الطريق النكر الذى سلـكه طول حياته فأصبح على حد قول الدكتور طه حسين ــ مبغضا عند الناس ومحببا اليهم ... مبغضا

(١) عداتك : وعودك .

لسوء سيرته ، ومحببا لحسن شعره وتقدمه فى الادب الى حد لم يبلغه كثير من معاصريه .

وكان والبة يأخذ أبا نواس فى صحبته ويخرج به للنزهة ومعاقرة الخمر ، حتى لا يعقل ولا يعى ما يفعل ، وترتفع بينهما الحشمة .

وقد ظل والبة يفعل هذا بأبى نواس وهو حدث ، حتى نجح فى اضعاف خلقه وافساد سلوكه .

ومن لطيف محاوراتهما المرتجلة ، انهما خرجا يوما من الكوفة يريدان الحيرة ، ماشيين ، وأرجلهما تفوص فى الرمل ، وقد جاعا ، فدار بينهما هـذا الحوار الشعرى المرتجل .

قال أبو نواس :

يا ليت فيما بيننا ستة
أرغفة ما بينها وزه

قال والبة :

من وز أرض الصين يؤتى بها
مشوية تتبعها رزه

قال أبو نواس :

خوذابة ، تؤخذ من بعدها
خمر من الحيرية المزه (١)

قال والبة :

يديرها ساق وقد شابها
من ماء مزن صوب مؤتزه (٢)

قال أبو نواس :

طاب لنا العيش ولكننا
أرجلنا فى الرمل مرتزه (٣)

---

(١) خوذابة : طعام من سكر ورز ولحم .
(٢) صوب مؤتزة : سحابة فائرة
(٣) مرتزه : مغروزة .



الوليد بن يزيد

أتوعد كل جبـــــار عنيد ؟
فهأنذاك جبـــــار عنيـــد
اذا لاقيـــت ربك يوم حشر
فقل ياربِ مزقنى الوليـــــد

وتهون البلية حينما يكون الشاعر ذو المجون من عامة الناس ، فللنـاس منه ما يروق لهم من مجونه ، فاذا اجترأ فجاوز هذا الحد برز له القانون .

ولـكن ما القول فى شاعر المجون اذا جاوز الحد ، وكان هو الحاكم الذى يملك القانون ؟

هذا ما كان من أمر خليفة المسلمين الاموى ، الوليد ابن يزيد بن عبد الملك .

كان من فتيان بنى أمية الظرفاء ، وكان أشـــعرهم واجودهم . ولـكنه كان فاسقا خليعا فى دينه برغم انه من أبناء خؤولة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانه القائل :

نبى الهـدى خالى ، ومن يك خاله
نبى الهــدى يقهر به من يفـــاخر

ومع هذا النسب الـكريم ، فهو القـائل حين سئل ما دينه :

يا أيها السائل عن ديننا
نحن على دين أبى شـــاكر
نشربها صرفا وممزوجة
بالسخن أحيانا وبالفاتر

ويقال انه لمـا تولى خلافة المسلمين ، بدأ يومه بأن استدعى أهله وسألهم : أتدرون لم دعوتكم ؟

قالوا : اردت يا امير المؤمنين ان ترينا ما جدد الله لك من نعمته واحسانه .

فقال : نعم ، ولكنى . . .

أشهد الله والملائكة الابر
ار والعابدين أهل الصلاح
انني أشتهى السماع وشرب الـ
ـكأس والعض للخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفا
ره يسعى الى بالاقداح

ولما جن الليل ، سمع صياح بنات سلفه هشام ، يندبن اباهن ، فما راعى شعورهن ، ولا احترم قرابتهن له ، وانشد يقول :

انى سمعت بليل
ورا المصلى برنه
اذا بنات هشام
يندبن والدهنه
يندبن قرما جليلا
قد كان يعضدهنه
أنا المخنث حقا
ان لم أ . . . . . .

والفعل المحذوف ــ وبنون التوكيد ــ اقبح كلمة فى اللغة !

ويروى ابو الفرج عنه ما هو شر من هذا ، يروى أن الوليد خرج ذات ليلة من مقصورة له الى مقصورة ، فوقع بصره على بنت له معها حاضنتها ، فوثب عليها فافترعها ، فصرخت الحاضنة تقول : انها المجوسية !

قال لها : اسكتى .

ثم أكمل :

من راقب الناس مات هما

وفــاز باللــــذة الجســــور

وقد بلغ من استخفافه بأمر الدين أن أشعب دخـل عليه يوما ، فكشف الوليد عن سوأته ، وسأل أشعب أن يسجد لها !

وذكرت جـارية من جـواريه انه قربهـا يوما وهو سكران ، فلما تنحى عنها ، آذنه المؤذن بالصلاة فحلف الا يصلي بالنــــاس غيرها ، فخرجت متلثمة فصلت بالناس !

وقيل ان الوليد بعث الى شراعة ـ وهو من ماجنى الندماء ـ فلمـا قدم ، قال له : يا شراعة ، انى لم استحضرك لاسألك عن العلم ، ولا لاستفتيك فى الفقه ، ولا لتحدثنى ولا لتقرئنى القرآن .

قال شراعة : لو سـألتنى عن هـذا لوجدتنى فيه حمارا .

قال : فكيف علمك بالفتوة ؟

قال : أنا ابن بجدتها ، وعلى الخبير بها سقطت ، فسل عما شئت .

قال : فكيف علمك بالاشربة ؟

قال : يسألنى أمير المؤمنين عما أحب .

قال : ما قولك فى المـاء ؟

قال : هو الحياة ، ويشركنى فيه الحمار .

قال : فاللبن ؟

قال : ما رأيته قط الا ذكرت أمى فاستحييت .

قال : فالخمر ؟

قال : تلك السارة البارة ، وشراب أهل الجنة .

قال : لله درك ! .. فأى شىء أحســن ما يشرب عليه ؟

قال : عجبت لمن قدر أن يشرب على وجه السماء فى كن من الحر والقر ، كيف يختار عليها شيئا ؟

وكان الوليد على علم بلؤم مجالس الغناء وما يدور فيها ، ولكنه ما كان يقدر أن يصبر عليها . وله فى ذلك خطاب الى بنى أمية يقول لهم فيه :

« يا بنى أمية ، اياكم والغنـــاء فانه ينقص الحياء ويزيد فى الشهوة ويهدم المروءة ويثور على الخمر ويفعل ما يفعل السكر . فان كنتم فاعلين ، فجنبوه النساء ، فان الغناء رقية الزنا . وانى أقول ذلك فيه على انه احب الى من كل لذة ، وأشهى الى من الماء البارد الى ذى الغلة ، ولكن الحق احق أن يقال » .

فكيف نفسر هذا القول ونوائمه مع صنيعه ، الا أن نقول ان الوليد كان مصابا فى نفسه بالشذوذ ، أو أنه كان مريضا بازدواج الشخصية ، نستشف هـــذا من الشطر الاول من عبارته هــــذه ، ومقارنتها بشطرها الاخير ، ومن أرجوزته التى استبدل بها خطبة الجمعة يوم صعد الى المنبر فأبى الا ان يقول للناس شعرا ... قال :

الحمــد لله ولى الحمــد
أحمــده فى يسرنا والجهــد
وهو الذى فى الكرب أستعين
وهو الذى ليس له قرين
أشهد فى الدنيا وما سواها
ان لا اله غـــيره الها
ما ان له فى خلقه شريك
قد خضـعت لملكه الملوك
اشهد ان الدين دين أحمد
فليس من خالفــه بمهتــد
وانه رســول رب العرش
القادر الفرد الشديد البطش

ارســـــله في خلقه نذيرا
وبالـكتاب واعظـا بشـــيرا
ليظهـــر الله بذاك الدينـــا
وقد جعلنـــا قبـــل مشركينا
من يطع الله فقد أصـــابا
أو يعصه أو الرسول خابا
ثم القرآن والهدى السبيل
قد بقيا لما مضى الرسول
كأنه لمــــــا بقى لديكم
حى صَحيح لا يزال فيكم
انــكم من بعــد أن تزلوا
عن قصده أو نهجه تضلوا
لا تتركن نصحى فانى ناصح
ان الطريق فاعلمن واضــح
من يتق الله يجد غب التقى
يوم الحساب صائرا الى الهدى
أن التقى أفضل شىء فى العمل
أرى جماع البر فيه قد دخـل
خافوا الجحيم اخوتى لعلـــكم
يوم اللقاء تعرفوا ما سركم
قد قيـــل فى الامثـــال او علمتم
فانتفعوا بذاك ان عقلتـــــم
ما يزرع الزارع يوما يحصده
وما يقدم من صلاح يحمده
فاســـــتغفروا ربكمو وتوبوا
فالموت منكم فاعلموا قريب

***

اتينا بهذه القصيدة ، لا من اجل فنها الشعرى ، فهى جرداء من ذلك ، ولـكننا اتينـــا بها كدليل على

ازدواج الشخصية عند هــذا الخليفة المريض ، الذى يقول مثل هذا الموضوع على المنبر ، ثم يكون ذات ليلة على غير هذا المزاج ، فيفتح المصحف ، فتقع عيناه ، اول ما تقعان على الآية الـكريمة :

« واستفتحوا ، وخاب كل جبار عنيد ، من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد » .

فيصيح بخدمه : اسجعا سجعا ؟ علقوه

ويعلق المصحف الـكريم ، ويأخـذ الوليـد القوس والنبل فيرميه حتى يمزقه ، ثم يقول له :

أتوعد كل جبــار عنيد ؟
فها انا ذاك جبــار عنيــد
اذا لاقيت ربك يوم حشر
فقل يارب مزقنى الوليــد

وسار البيتان الى النــــاس ، فازدادوا سخطا على سخط ، ولم يلبثوا بعد قليل أن دبروا له فقتلوه شر قتلة .

نقول ان تلك القصيدة المنبرية ليست من جيـــــد الشعر ، بل انها ليست الا نظما متراصا لا فن فيه .

وهى لا تمثل شعر الوليد بأية حال ، وما نحسب ان له من هذا الطراز الا هذه .

ولـكننا ــ على كراهيتنـــا لمجونه وزندقتـــه ــ نقف مأخوذين بالناحية الجمالية فى الـكثير من قصـــائده فى هذه الاغراض .

قضى الوليد ليلة عند غانية دعته للمبيت عنـــدها ، فلما انصرف ، قال فيها :

قامت الى بتقبيـــــــــل تعــانقنى
ريا العظام كأن المسك فى فيهــا
أدخل فديتك لا يشعر بنا أحد

نفسى لنفسك من داء تفديها
بتنا كذلك ، لا نوم على سرر
من شدة الوجد تدنينى وأدنيها
حتى اذا ما بدا الخيطان قلت لها
حان الفراق ، فكاد الحزن يشجيها
ثم انصرفت ولم يشعر بنا أحد
والله عنى بحسن الفعل يجزيها

ومع طلاقة هذه الابيات ، وارتفاعها عن الاسفاف فى وصف ليلة غرام ، فان الوليد لم يتورع ، من استخفافه المؤصل بالدين ، أن يدعو الله لها جزاء ما أحسنت اليه فى « الفعل » فى تلك الليلة !

ومن أجمل خمرياته هذه الابيات التى تجمع بين المجون والفخر فى رقة سائغة سلسالة ، الى حد أن بعض ندمائه كان يرقص عند سماعها :

اصدع نجى الهموم بالطرب
وانعم على الدهر بابنة العنب
واستقبل العيش فى غضارته
لا تقف منه آثار معتقب
من قهوة زانها تقدمها
فهى عجوز تعلو على الحقب (١)
أشهى الى الشرب يوم جلوتها
من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها
حتى تبدت فى منظر عجب
فهى بغير المزاج من شرر
وهى لدى المزج سائل الذهب

---

(١) كانت القهوة عند العرب من أسماء الخمر ، والمقصود بتقدمها أنها معتقة .

كأنها في زجاجهــــــــــا قبس
تذكو ضيـــــــاء في غير مرتقب
في فتيـــة من بني أمية أهـــ
ـــل المجـد والمـأثرات والحسب
ما في الورى مثلهم ولا بهمـــو
مثـــــلي ولا منتم لمثـــــل أبي

ومما يدل على سبق الوليد على غيره في الخمريات قول أبي الفرج ان الشعراء قد أخذوا من أوصـــاف الوليد في الخمر الـكثير الذي ادخلوه في أشـــعارهم وسلخوا معانيها ، وقد ســلخ ابو نواس خاصــة كل معانيه وجعلها في شعره فكررها في عدة مواضع منه .

***

قال المدائني : ولمـا أكثر الوليــد بن يزيد التهتك وانهمك في اللذات وشرب الخمر وأفرط في أمره وغيه ، مل الناس أيامه وكرهوه ، وتآمر عليه عقلاء بني أمية فقتلوه .

ولم يعدم الوليــد بعد انفضــاض سيرته من ينبرى للدفاع عنه وتبرئته .

يقول أبو الفرج ان المهدى حين جاء ذكر الوليد ـ رماه بالزندقة ، فانبرى ابن علاثة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين ، الله عز وجل أعظم من أن يولي خلافة النبوة وأمر الامة من لا يؤمن بالله . لقـــــد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهـــــــارته وصلاته ، وحدثني انه كان اذا حضرت الصــلاة يطرح ثيابا بيضا عليه من مطيبة ومصبغة ، ثم يتوضـــــــأ فيحسن الوضوء ، ويؤتى بثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة فيصلي فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع وسجود ، فاذا فرغ عاد الى تلك

الثياب التى كانت عليه قبل ذلك ، ثم يعود الى شربه ولهوه .

***

وهـــــذه الحكاية تؤكد لنا ما زعمنا انه ازدواج الشخصية عند الوليد . فلعله كان مؤمنا فى قلبه ، ولكن الخمر كانت تفسد عليه ايمانه ، فكان اذا أفاق آمن ، واذا سكر كفر .

وتؤكد هذه النظرية حكاية عن نديم له أثير عنده ، اسمه القاسم بن الطويل العبادى ، وكان أديبا ظريفا شاعرا . وكان الوليد لا يصبر على بعده .

كان القاسم عنده فى ليلة اشتد عليه السكر والطرب حتى نام ، فلما فتح عينيه والخمار لايزال فى رأسه ، سأل عن القاسم ، فقيل له انصرف ، فغضب وصاح : ائتونى برأسه .

وذهبوا فالتمسوا الرجل وذبحوه وأتوا برأسه الى الوليد ، فلما رأى الرأس أفاق من سكرته وسأل عن قاتله ، فرووا له القصة ، فبكى وندم ورثاه بقصيدة من جيد شعره فى الرثاء .

ومهما يكن من أمر ، فان تاريخ المجون قد عرف عشرات من الماجنين من كل اون وفى كل عصر ، ولكنه لم يعرف أفجر من الوليد فيما صنع بكتاب الله مما لا يغفره له التاريخ الى يوم الدين .

المجون

في العصر الحديث

لم يكن المجون مقصـــورا فى أكثره على تلك الفترة الصاخبة من زمان الدولتين الاموية والعباســـية . فالمجون قائم فى كل عصر ، باق بقاء النفس البشرية فى نزواتها وانحرافاتها ، وضحكها وهزلها .

واذا كان صوت المجون قد علا أبان تلك الفترة التى اشرنا اليهــا كما لم يعل فى أية فترة أخرى من تاريخ الادب ، فذلك لان أثر الحضارة الفارسية عند دخولها على العرب ، بخيرها وشرها ، وبما تحمل فى طياتها من مذاهب معادية لروح الاسلام ، كان من أبرز الاسبـاب التى حملت الموالى ، ومن صاحب الموالى من العرب ، على الاسراف فى المجون ، اما انسياقا مع التيار ، واما تظرفا وطلبا للشهرة .

على ان المجون قائم فى كل عصر ، وفى كل أرض ، حتى اليوم ، وان كانت لهجة الزندقة منه قد اختفت ، وحـدة الانحراف الجنسى قد خفت ، وأصبح مجون شـعرائنا المعـاصرين يجرى اكثره فى الهجاء والدعابة والتظرف وما الى ذلك من الاغراض الهينة .

وقد عرفنا فى زماننا نفرا من الشعراء الماجنين ، المسرفين فى المجون ، كالمرحومين عبد الحميد الديب ومحمد مصطفى حمام .

وكذلك ابتدع المرحوم حسين شفيق المصرى اسلوبا جديدا فى المجون السيـاسى ، اشتهر باسم « الشـعر الحلمنتيشى » .. وقوامه معارضة القصائد المشهورة ،

بقصائد مبتدعة ساخرة تدخلها الدارجة فى الكثير من أبياتها ، وتعرض برجال السياسة الذين حكموا مصر فى عهد الاحزاب .

وفيما يلى المامة عاجلة باللون الجديد من المجون الذى عرفه العصر الذى نعيش فيه ، وأكثره من الفكاهة الحلوة التى لا توغل فى المجون .

***

كان لأمير الشعراء أحمد شوقى ، على ضخامته ، جانب من المجون .

ومن الطف مجون شوقى ، مداعباته لصديقه الدكتور محجوب ثابت ، وهى مداعبات كثيرة ، دار اكثرها حول لحيته المشهورة ، وجواده الهزيل ، وسيارته العرجاء .

يقول شوقي فى لحية الدكتور محجوب ، وما يسكنها من البراغيث :

براغيث محجوب لم انسها
ولم انس ما طعمت من دمى
تشق خراطيمها جوربى
وتنفذ فى اللحم والاعظم
ترحب بالضيف فوق الطريق
فباب العيادة فالسلم
قد انتشرت جوقة جوقة
كما رشت الارض بالسمسم
وترقص رقص المواسى الحداد
على الجلد والعلق الاسحم
بواكير تطلع قبل الشتاء
وترفع الوية الموسم
اذا ما ابن سينا رمى بلغما

رأيت البراغيث فى البـــلغم (١)
وتبصرها حول « بيبا » الرئيس
وفى شـــــاربيه وحول الفم
وبين حفـــائر أســـنانه
مع الســـوس فى طلب المطعم

وحين استبـدل الدكتور محجوب عربته وجواده ، وكان يسـميه مكسوينى (٢) ، بسـيارة عرجاء ، قال شوقى ، وكان ذلك سنة ١٩٢٤ :

لــكم فى الخط ســـياره
حـــديث الجار والجاره
« أوفرلاند » ينبيـــك
بها القنصل « طماره » (٣)
اذا حركهــــــا مالت
على الجنبـــين منهـــاره
وقـــد تحرن أحيـــانا
وتمشى وحـــــدها تاره
ولا تشـــبعها عـــين
من البنـــزين فواره
ولا تروى من الزيــــت
وان عامت به الفـــاره
ترى الشـــارع فى ذعر
اذا لاحت من الحـــاره
وصبيـــانا يضـــجون

(١) يقصد بابن سينا الطبيب ، الدكتور محجوب ثابت • وكان « ابن سينا » يلقب بالرئيس ، وترى الاشارة فى البيت التالى •
(٢) والاسم أصله لاحد زعماء الاحرار بايرلنـــده الذى أضرب عن الطعام حتى مات جوعا • وقد سمى حصان محجوب مكســوينى بسبب تجويع محجوب له •
(٣) هو الشيخ طماره ، وكان اماما بالمفوضية المصرية فى وشنطون •

كما يلقون طيـــاره
وفى مقــدمها بوق
وفى المؤخـر زمـارِه
فقـد تمشى كما شـاءت
وقـد ترجع مختــاره
قضى الله على الســوا
ق أن يجعلهـا داره
يقضي يومه فيهــا
ويلقى الليــل مازاره

***

أدنيـا الخيل « يا مكسى »
كدنيـا النـاس غـداره ؟
لقـد أبـدلك الدهـر
من الاقبـال ادبـاره
فصـبرا يا فتى الخيل
فنفس الحر صبـاره
أحـق ان محجـوبا
سـلا عنـك بفخـاره
وبـاع الابلـق الحـر
« بأوفرلاند » نعـاره
ولم يعـرف لك الفضـل
ولا قـدر آثاره ؟
ولا والله ما كلفـ
ـت محجوبا ولا بـاره
فلا البرسـيم تـدريه
ولا تعـرف نواره

***

ولشوقى ـ غير المحجوبيات ـ طرائف كثيرة ، منهـا

قوله عندما بشر بميلاد ابنه على :

صـــــار شوقى ابا على
فى الزمـــان التـــــرللى
وجنـــــاهـــــا جنـــاية
ليس فيهـــــــــا بأول

***

والشاعر القروى ، رشيد سليم الخورى ، من اكثر الشعراء الجادين فى هذا العصر ، فجل شـعره وطنى موهوب لوجه القومية العربية ، ودعوة الامة العربيـة الى اليقظة والتماسك فى وجه الاستعمار .

ومع هذا ، فان له قصائد قليلة ضاحكة ، كتلك التى قالها عندما جز شاربيه :

قالوا : حلقت الشـــاربين
ويا ضيـــــاع الشـــاربين
فأجبتهم : بل بئس ذان
ولا رأت عينــــــاى ذين
الشـــــاغلين المزعجـــــين
الطـــــالعين النـــــازلين
ويلى اذا ما ارهفـــــــا
ذنبيهمـــــا كالعقـــــربين
ان ينـــزلا نجمـــا فمى
او يطلعـــا التطمـــا بعينى
واذا همـــا بســـط الخوا
ن تراهما ســـبقا اليـــدين
فاذا اردت الاكل يقتســـما
ن بينهـــــــــما وبينى
واذا اردت الشرب يمتصا
ن كالاســـــــــفنجتين

فكأنني بهمـــا وقـــد
وقفـــا ببـــاب المنخرين
عبـــدان من أشقى العبيـــد
تقاضيـــــا ملـــكا بدين

***

وكان صديقنا المرحوم فخرى البارودى ، من سراة الشام ، وهو في الوقت نفسه من زعمائها وساستها واعلام الادب والشعر والموسيقى والفكاهة فيها .

وكان يحب صباح الوجوه من الشباب ، وقد رويت عنه في هذا الصدد نوادر كثيرة ، شهدت واحدة منها ، اذ كنا بدمشق ، ومعنا نفر من اعلام الادب والشعر في مصر ، منهم أحمد رامى .

وكان مقررا أن نصـعد الى بلودان ، ونقضى الليلة هناك ، على أن نبيت بأحد فنادقها .

وأصر فخرى البارودى على أن يصحبنا الى بلودان ثم يعود ، وفعل . وهم بالعودة ، فاستبقـاه رامى اشفاقا عليه من الطريق في الليل ، فذهب معنـا الى الفندق .

وبعث له رامى بصحن من الـكمثرى في غرفته ، مع مليح من غلمان الفندق . ويبـدو ان الغلام كان يعرف بعض حكاياته ، فترك له الصحن على مائدة فيغرفته ، وولى مسرعا دون أن يستجيب لنـــداء فخرى الذى يبدو انه كان يريد أن يقول له شيئا .

ونظم فخرى أبياتا يشكر فيها رامى على هديتـه ، مطلعها :

يا رامى الشعر ، كمثراكمو وصلت
مع الرســول ، فأهلا بالحبيبين

وفي الصباح ، كنا نقف ، رامى وانا ومن معنا من

ادباء مصر ، مع نفر من الشباب المحب للأدب .
وجاء فخري ، فألقى تحية الصباح ، وجعل يقبلنا واحدا واحدا ، حتى أدرك رامي ، فتردد قليلا ، ثم قال له :
ـ وأنت أيضا ... أقبلك لوجه الله .
فقال له رامي ، مشيرا الى حكاية « كمثراكمو وصلت مع الرسول » :
ـ أتريد أن تقبلني لوجه الله أم لوجه الرسول ؟

***

ومن حكاياته انه كان مع بعض أصحابه ، ومنهم المرحوم حسني تللو ، وكان هو الآخر من ظرفاء دمشق ، يسمرون في بيت فخري ، فهبط عليهم مطرب شاب مليح مخمور ، وجلس يغنيهم حتى الصباح :
وقال فخري يصف الليلة :

وغزال زار ، تكيتنا
حرم الظرفاء بذي البلده
في عتمة آخر شوال
اذ جاء مفاجأة وحده
وابو عدنان يحدثنا
حسني تللو فوق السده
عن شيخ المفشي والمحشي
والعسل الصافي والزبده
واذا بالظبي يفاجئنا
والسكر يوسده زنده
صفقنا فرحا وسرورا
وأقمنا الكون بلا قعده
من ثمة راح يغنينا الـ
ـشحرور على نهج البرده

وجعلنـــــا نرقص بالدبكا
وفتـــانا يرقص ع الوحــده
وأدار الــكأس مشعــشــعة
يسـقي وينقلنــــا خــده
فشربت ورحت اقبـــــله
خــدا يتـــــأرجح كالورده
فيروح ويغــدو منتشيـــا
ويميس بقـــد كالصـــعده
واذا بالفجـــر يشــير لنـــا
والليـــل مشى يطـوى برده
بالقبــــلة راح يودعنــــا
كوداع الطفــــلة للجــده
وأنا لليــــــوم على نار
أرجــــو ازيــــارته رده

***

وحكاية أخرى ...

زاره ذات يوم نفر من اصدقائه فى قريته «الجرباء» بالغوطة ، وكان فيهم الشاعر خليل مردم بك ..

وباتوا عنده ، فأكرمهم بالطعام والشراب والمنـام فلما كان الصباح ، انصرفوا ولم يودعوه ، واكتشف فخرى بعد انصرافهم ان خليل كتب على جدار الفرفة هذه الابيات باسمه هو ومن معه :

الا يا صـــاحب الجربا
بلاك الله بالجــــرب
فانا قـــد وجدنا عنــ
ـدك البلوى على كثب
فلـــدع البق والنــامو
س يدنينا من العطب

ومذ خفنا الحمـــام فقـــد
لجـانا منـــك للهـــرب

وقرأ فخرى هذه الابيات ، فرد عليهم جميعا بمثلها ، قائلا :

الا يا عصـبة الاشرا
ر اهل الزور والـكذب
أ ادعـــوكم واكرمـــكم
واهجى دون ما سبب
يلذكم الهجـــــاء كما
يلذ الحك ذا الجرب
فما انتم سوى غجر
ولستم من بنى العرب
فشـــــعركمو ونثركمو
وهجوكمـــو على ذنبى

***

واحمد رامى ، هو من اظرف ظرفاء عصرنا هذا ، وله مداعبات كثيرة ، منها ان صاحبه الشاعر اللبنانى الجهير امين نخلة دعاه يوما الى الغداء ، وقال انه قد أعد له اكلة ممتعة .

فلما ذهب ، وجد ان هذه الاكلة الممتعة هي الضفادع، التى لا نأكلها نحن المصريين، فأمسك رامى عنها ، وخرج جائعا ، وكتب هذه القصيدة فى هجاء صاحبه :

دعانى الى اكلة ممتعـــــه
وقال : سيطعمنى ضفدعه
وكيف تكون الضفادع قوتا
ومرقدها الليـــل فى منقعه
تبيت مع الطـــين مطمورة
وتـــاكل اوضـــاره طيعـــه

وتملأ جو الليالى ضجيجا
يقض على نائم مضجعه
لها مشية مثل زحف القعيد
اذا دب يسعى على أربعه
وجلد كجلد الحذاء العتيق
تهرا ، وصاحبه رقعه
دعانى اليها فأمسكت عنها
ومد الى اكلها اصبعه
وراح يقضقض بالضبتين
عظاما لها بيننا قرقعه
فأقسمت الا أقبل فاه
اذا غاب والمنتأى أرجعه
وخيل لى ان أمد ذراعى
وطاب لكفى أن تصفعه
فلا كان هذا الطعام الكريه
ولا كان يومك يا ضفدعه

* * *

والشاعر الراحل محمود غنيم ، له اخوانيات كثيرة توغل احيانا فى الهجاء . ومن أصلحها للنشر ، انه ذهب مع بعض أصحابه لزيارة الشاعر محمود الخفيف ــ رحمه الله ــ وجاءت الظهيرة ومرت ، وأوشك العصر ، وهم جياع ، فقال لمحمود الخفيف :

ايه يا محمود جعنا
هات لحما ورغيفا
واسقنا شايا ثقيلا
لعن الله الخفيفا

ومن مداعباته لصديق له كان يعمل باحدى الدوائر الحكومية ، ورئيسته سيدة :

فلان ... نعم الرجل
محتـــــرم مبجـــــل
له رئيســـــــة اذا
ما أمرت يمتثـــــل
حتى اذا ما حمـلت
تــراه أيضـا يحمـل

نماذج من

الشعر الضاحك المعاصر

عبد الغنى سلامة

بين الجد والهزل

يقولون : جـد ولا تهزل
والا غـدوت بلا « منـزل »
فان الفكاهة شـؤم الاديب
وان يك فى منصـب يعـزل
فقلت : املكوا أنتم الناطحات
سأنأى عن الهم فى معـزل
مباهج حفت بهـا جنـة
ومن يسع فى نيلهـا يبـذل
سئمت الاسى ، وحياتى بكم
حيـاة أمر من الحنظـل
أأسكت بين نباح الكلاب
لتنهش لحمى باللمز لى ؟ ..
ألفت الفكاهة . . . انى بها
ارد الى عمـري الارذل
سأحيـا لها ... وأسوق الفلاظ
قطيعـا من الضـأن لم يهزل
فلا تعجبوا ان جززت الخراف
وأعملت فى صـوفها مقزلى

ضرس شاعر

« نظم شاعر صديق قصيدة يرثى فيها ضرسه مدعيا انه لم يجاوز سن الخمسين مع انه قد ناهز الستين ، فقال عبد الغنى سلامة معارضا قصيدته الباكية » :

هل رأيتم من راى نوحا غلاما
كيف يحصى عمره خمسين عاما
عمر الشاعر وارتد الى
أرذل العمر ، ولم يشك سآما
يا له ودع ضرسا نائثا
هاربا من أكل أموال اليتامى
جذره الفانى شجانا نعيه
حين سجاه وواراه الرغاما
ليس بدعا وغريبا ان سقى
ضرسه من ريقه الموت الزؤاما
وغريب ، بل عجيب ان نرى
مثله فى شدقه ضرس أقاما !
ظل يرميه بروع من وغى
سنه الستين طعنا وسهاما !
وهو ان خف الى معركة
جرد الضرس ولم يحمل حساما
كيف يبكيه ، ومثلى لم يجد
فى الثلاثين بفكيه عظاما

وانا الصـــادق لا الـكاذب في
ان ضرسى لم يذق يوما حراما
لا ولم أطحن به فولا ، ولم
اعتلك فى ســاعة الشـد لجاما

***

انا أولى ببـــــكاء موجـع
ينصف اللؤلؤ عقـــدا ونظـــاما
أنا لو عاش لى الضرس الذى
ضـج ناعيه لفـــاخرت الاناما
كنت أكسـوه نطـــاقا مذهبـــا
ثم أبقيه على الصـــدر وســاما

***

ظل يحمى ذلك الضرس لـكى
يحسن الاكل ديوكا وحمـــاما
وأنا أنشـــــد ضرســـا علنى
أحسن النطق حديثــــا وكلاما
ايه يا شـــاعر عمـــرت كما
عمـر الضرس ولم تبق طعـاما
هات أسنـــانك وارحـــل تاركا
لفمى نورا فقـد عاش ظـــلاما
من مجـــيرى من ظـــلام معتم
حالك شـــــيع أضراسى تؤاما
جفت الادمع فى ماتمهـــــــــا
وتجلـدت ، ولم أبد اهتمـاما
يا لمهـــدار على ضرس غـــدا
فى نــواح زاد عن نــوح الايامى

عبد السلام شهاب

تفاريح أعياد

ببـاب الخلق قد طـال الوقوف
ولا جدى هناك ، ولا خروف
لقـد سبقت فما أبقت كروش
بها ـ للأكل ـ قد خلقت كهوف
لحوم العيـد قد وقفت عليهـا
وامثالى لهم : جلد ، وصوف
بل الاسعاف نعطيـه « الفراوى »
أيسعفنـــا ونتركه يهيف ؟ . .
فيا عيد الضحية : هل أضحى
بنفسى فيك ؟ أم ماذا تشوف ؟..

***

الا . . . فى ذمة الحاتى . . . كباب
عليه الفائزون به . . . عكوف
فما ظفرت به منا . . . بطون
ولا ظفــــرت بريحتــه أنوف
اذا ذهب الاخــاء فـلا كـريم
يحن على الفقير ، ولا عطوف
فقل لذوى الذبائح : ألف طظ
ولا تسـأل اذا غضب الفحوف

كفى . . . للأسرة احتفلوا بعيد
تساوى الضيف فيه والمضيف
وكم فيه اشترينا من هدايا
وما فيها تليد ، أو طريف
بضائع . . . طالما فتنا عليها
ملقحة ، بها امتلأ الرصيف
ومدخراتنا . . . ضاعت هباء
وضيعها لنا الحس الرهيف
وما انتفعت بها أم رؤوم
ولا . . . زوج لها وأب رؤوف

***

وقالوا : للصحافة جاء عيد
وأنت لكل أسرتها رصيف
نعم ، عيد الصحافة جاء يسعى
ونحن به ـ حواليها ـ نطوف
وفى دار النقابة . . . كل يوم
صباح مساء . . . تنتظم الصفوف
ونشبع كلنا : خطبا ، وشعرا
وازجالا . . . بها عملت كشوف
فمن يفرحه فى عيد خروف
ففرحتنا الصحائف والحروف

***

وقالوا : لليهود ـ كذاك ـ عيد
وفيهم صاحب حلو ظريف
فطرت اليه يحملنى اشتياقى
وقلت : سعدت فصحا يا جوزيف
فقابلنى بكم أهلا وسهلا
وأشبعنى كلاما . . . يا لطيف !

دماغى منه . . . حل به صداع
له دق على مخى عنيف
وخفت أموت بين يديه جوعا
فيرفسنى وفى يده الرغيف
وعدت بفردتى خفى حنين
وبفتهما .. لأبلع .. قرص « ريفو »

***

وفى عيد القيامة ، قمت أسعى
وفى ذهنى من الماضى طيوف
عسى ولعل ... آكل لحم ديك
به قلبى – على طول – شغوف
ولكنى رجعت ودمع عينى
على خدى من جوعى ذروف

كان النيل يجرى تحت جفنى
ودمعى منه ينزحه شدوف
وواصلت الصيام برغم أنفى
وعدت كأننى قط اليف
تحجبت الفراخ . . . بلا حياء
ووارتها الستائر والسجوف

واصبح لحمها سرا مصونا
وحتى ليس يعرفه العريف
وما منع الحجاب لقاء حب
ولكنى – على فقرى – انوف
وآكل لقمتى – حافا – بكوخى
وليس يهمنى القصر المنيف
وياما قد اكلنا من ديوك
لها روس تتوجها عروف

وقلت : غدا لنـــــاظره قريب
وفى عيـد الربيـع لنـا قطوف
على شم النسيم ... فطرت صبحا
ورحت على حـــــدائقهم أطوف
فلم أر زهــــرة لم يقطفوهــا
ولم تذهب بنضرتهـــا الحتوف
ورائحة الفسـيخ لهـا هبـــوب
وقد عصفت ولا الريح العصوف
وفوق الارض قد فرشت قشور
ملونة ، شـكا منهـا الجروف
فمن بيـض الى بصـل وفجل
عليهـــــا انكب جاز منتشـوف
فمـا يدرى ابن آدم : هل ربيع
يطـــالع فى الحدائق أم خريف
ولا يدرى ، ولا مخلوق يدرى
أروض ها هنــالك أم كنيف ؟

***

على ان الذى زاد انفــــلاقى
ومنه أنا على نفسى أســــيف
منـــــاظر فى الحدائق للسكارى
وما فيهم ولا رجـــل نظيـــف
وكل فتى ... تلوف به فتـاة
سواى ، فليس بى أحد يلوف
فعـــدت لمنــزلى أجـرى فرارا
كهتـــلر حين طـــارده زكوف،
فيالك فســــــحة قلبت بفم
وما يرضى بهـــا الا سـخيف
وهل فيهـا سـوى قرف وغلب
وآفات – بلا حصر – تؤوف ؟

وقلت لزوجتي هـذا ، فثارت
كبركان يقـال له : فزوف
ومن فمهـا تشبلق بى لسـان
كما تهوى على الباغى السيـوف
اقول لها ، وقد هاجت وماجت
كفى ... فتقول : تكفيك الـكيوف
انحن أقـل قـدرا أو مقـاما
وكرشـك وحده الـكرش العفيف
وقلت لها : اسكتى ، فبكت بصوت
تردده الحوائط والسـقوف
وقالت : مالنا ـ كالنـاس ـ عيـد
فقلت لهـا : كذا قضت الظـروف
لقد كنا وكنا .... ثم صرنا
وقد نظفت من الستر الـكفوف
ومطبخنـا ... خـلا من كل لون
فما فيه لنـا الا الرفوف
زمان العز ولى ... بالاوازى
فلا أوسـيم تنجب او منوف
وليس فتى مرتبـه قروش
كمثل فتى مرتبـه ألوف
فمن يرقص له زمن الفـوازى
فانا لا تحركنا الدفـوف
وكم عيد ، شبعنا فيه لحما
وكانت عنـدنا منه صـنوف

***

فخلى عنـك لومى واعذرينى
فما فى الفقر عيب أو كسوف
انا فى عرض مامتـك اعتقينى
فقـد جننتنى ياست فوفو

وما قلبى بحب الفول مضنى
ولكني امرؤ سهل ألوف
فصبرا فى مجال الفول صبرا
فانى عن ذبائحهم عزوف
وفى الامثال قيل : الصبر حلو
ومن يصبر فذاك هو الحصيف
وأكل المش خير من خروف
أشكه . . . اذا وجد الخروف
اذا فى العيد أهل البيت صاموا
فليس يهم ما طفح الضيوف
وما ذنبى أسمن فى ضيوف
وجسمي – دائما أبدا – نحيف
ولو أنى استطعت شراء ديك
لقاسمت الخلوذ أباك خوفو

***

فيا عيد الفكاهة : أنت عيدى
وأنت لعمرك العيد اللطيف
وحسبى منك تشبعنى ابتساما
وحسبك اننى رجل شريف
وليس العيد يصنعه طبيخ
وليس العيد يصنعه غريف
وما دمنا معا نحيا ونسعى
فليس أمامنا شيء يخيف

***

نعم ، حقا هى الدنيا حظوظ
وما كالحظ فى الدنيا حليف
اذا ما الناس فازوا بانبساط
فما قد فاتهم . . . شيء طفيف

سوسو

احب سوسو ، وما ادراك ما سوسو
سوسو التى فى هواها الصب موحوس
كم اظهرت دلعا قد زادنى ولعا
ثم اشترت سلعا .. فالجيب متعوس
وقال عقلى : انس سوسو فهى مسرفة
فقلت : كلا ... فولى وهو ملحوس
وهامس باسمها فى سره سحرا
والكون فى خنه المحبوك محبوس
فقمت من عز نومى صارخا فزعا
كانما شكنى فى القلب دبوس
وقلت : روحى وما تحويه محفظتى
فداء سوسو .. تعالى بس يا سوسو

هن هن

احبهن ، كلهن : بيضهن ، سمرهن ، حمرهن .. غير هنه
واين هن : سودهن ، صفرهن ، خضرهن ، زرقهن ، اين هنه ؟
الا .. وان كلهن : بعضهن . . . يشبهن بعضهنه !
وكلهن ، فافهمن واحكمن ، انهن : هن هنه

حسين شفيق المصرى

الفقر والأخلاق

« علو فى الحيـــــاة وفى الممات
لحق تلك احـــــدى المعجزات »
حيـــاتك كلها كانت صـــــعودا
الى غرف الســـــطوح العاليات

هى الســكنى ، وللفقر احتــكام
يمرمغ انف أقوى الـكائنـــات
وتدفن بعــــد موتك فوق تل
نزيلا بين أقوام حفـــــــــاة
كأنك قائم فيهم خطيبـــــــا

يهجص فى الليـــــالى الخاليات
بفلســــــفه من التخريف أدعى
الى ضحكى من النكت اللواتى
تقول : الفقر للأخـلاق صـــون
وفيه حشـــــمة للغانيـــــات
فقلت لك : اتلهى ما أنت الا
حمـــار من حمـــير ناهقـــات

رايت الفقر يفســـد كل نفس
باذلال الابـــــاة بنى الابــــاة
يخلى أشـــــجع الشجعان يخشى
من الولد الصغير ... وم الفتاة
وكم فى الفقر من رجل حرامى
وكم فى الفقر من رجل فلاتى
ولولا المـال ما صـلحت أمور
ولم تر كيف حـل المشــكلات

رجال أحدثوا البدعا

« امسيت فوق تراب الارض مضطجعا
فما أبالى أراح الصبر أم رجعا ؟ »
مفيش شغل ولا مال نعيش به
والعقل م الراس بعد اليأس قد طلعا
ولا رجاء لنـا ما دام يدفعنـا
الى البلاء رجال أحدثوا البدعا
أحزاب تلحمة ما فيهمو أحـد
يدرى بشىء اذا لم يفتح الودعا
مخرفون ملاحيس اذا نطقـوا
قاقوا مقاقاة وز جاوب البجعا
فحزب شعب وليس الشعب يعرفه
ملخبط المخ طول العمر ما نفعا
وآخرون أدعوا م الجهل انهمو
حزب اتحاد وليس الرأى مجتمعا
فيـا وزارة بزياداك مهيصـة
بهؤلاء فحبـل الهيصـة انقطعـا

خلقت على كيفى

«سواى يهاب الموت او يرهب الردى
وغيرى يهوى أن يعيش مخلدا »
وكم من فتى مثلى مرازى متلحم
رأى «حمدا» فى « زره » فتقنفدا (١)
« لكل امرىء من دهره ما تعودا »
وعادة هـذا الزر أن يتبـلدا

(١) حمد : المرحوم حمد الباسل

خلقت على كيفى وكيف أحبتى
وكيفك أيضا لو تقر على كذا
فلا بائعا دينى بدنيا أصيبها
ولا مظهـرا للبقف يوما توددا
ولست وصوليا أريد وظيفة
فأنصب رأيى للوظيفة مصيدا
اذا أنت أكرمت الحصان ركبته
وان أنت أكرمت الحمار تبغددا
فان كنت يا ابن الناس زيى فاننى
صديقك ما أرغى العذول ، وازبدا
وان كنت فلعوصا أو ابن صريمة
فدعنى ولا تكثر على الترددا

حسين طنطاوى

اضحك

اسمع ــ فهذا الشعر «حلمنتيشى»
هو ــ سكر ــ والله « سنترافيشى »
فيه الهزار ــ وفيه أيضا ــ حكمة
ونا شاعر فحل « وزيه مفيشى »
« أفكاره » هى كالجواهر «والنبى»
خذها ــ بلا ثمن ــ ولا بقشيش !..

***

اضحك ــ فان الضحك كالياميش
فى طعمه ــ والكحك والارائيش
اضحك ــ صباحا ــ أو مساء ــ مغربا
ليلا ــ بلا بخل ولا تحويش

اضحك ـ لاصحاب ـ لأهل ـ اخوة
« اضحك لى ـ لو حتى ماتعرفنيشى»
اضحك ـ إذا كانت أمامك « لحمة »
أو كنت « متغدى بجبنه أريش »
واذا ضحكت أنا « ما تسألنيشى »
عمـــا يضحكنى « ولا تحوشـنيشى »

***

اضحك ـ تجد دنيـاك ـ بنتا حلوة
وقفت «بتضحك لك ـ ولا بتمشيشى»
بوز ـ تجدها ـ غولة بمخالب
بالضرب ـ تنزل فيك ـ والتلطيش !!

***

اضحك أمام مراية ـ تر طلعـة
كالبـدر ـ أو أحـلا ـ بلا تهويش
بوز أمام مراية ـ تر سحنة
كالقرد ـ والله « ما تعجبنيشى »

***

اضحك ـ وكل « مشا » تحس كأنه
« جاتوهة » والجيم بالتعطيش !..
بوز ـ وكل « عسلا » تحس بحنضل
أو علقم ـ فى البق والنفاشيش !..

***

انى صديق الضحك ـ اجرى خلفه
«وانده» له ـ لو فات «ولاشافنيشى»
ويزورنى ـ فى بيتنا ـ وأزوره
فى بيته ـ لو غاب « لو ما يجيشى »

***

انى عدو الحزن ـ لو أنا شفته

فى ســكة ــ اجرى « ما تلحقنيشى »
واسك « شباكى » اذا «ست» بكت
أو صوتت ــ « بزجاجه والشيش »

***

لا تزعلوا ــ فالحزن ليــل ــ ضــلمة
والضحك نور ــ احمــر ــ طرابيشى
والضــــاحكين ــ عقولهم موزونة
والزعلانون ــ عقولهم «مناويشى»

***

ان الحياة حديقة ــ بزهورها
وطيورها ــ ذات الفنا والريش
هى جنــة ــ وبنات حور ــ حولنــا
تبــدى حلاوتهــا « ولا تخبيشي »
لو شمسها غابت ــ ينور بدرها
ونجومها ــ فالنور «مابيطفيشى»

***

يا أيها الزعلان ــ ان جمالهــا
«دايما» أمام عيونك الشبش بيش !
افرح بها ــ وانس الهموم فانها
بأظــافر ــ فى القلب ــ كالخرابيش
اضحك ــ فان الضحك كاليانسيش
فى طعمه ــ والــكحك والقراقيش

فهرس

كتاب الهلال القادم :

اعلام الادب والفكر والدين يروون

قصة الازهر

رحاب العلم والايمان

يصدر ٥ يناير سنة ١٩٧٣ ـ الثمن ١٠ قروش

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

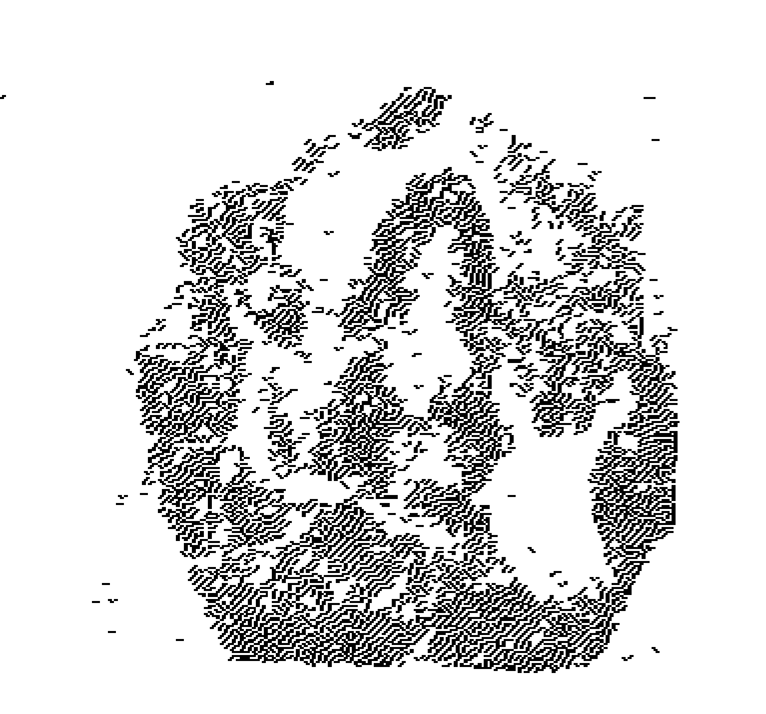
جده — ص . ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
7, Biskopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND.

البرازيل :

Sr. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406
Sao Paulo, BRASIL.



هذا الكتاب

ليس من المجون أن نكتب عن المجون ، فلقد أنشأ الاستاذ العميد الدكتور طه حسين فصولا مطولة عن أبي نواس وأصحابه من العابثين والزنادقة ، وكتب عملاق الأدب عباس محمود العقاد عن أبي نواس أيضا ، وعن « جحا ـ الضاحك المضحك » • ووضع عشرات من أعلام الأدب المعاصرين عشرات من الكتب عن أهل العبث والمجون في الأدب العربي ، ولاتزال دواوين هؤلاء تطبع وتنشر على النـــاس وتدرس في الجامعات حتى يومنا هذا ، والى ما شاء الله . كلون من الأدب ، الذى يبعث على الابتسامة مرة ، وينتزع من أعماقنـــا القهقهة مرة أخرى ، ولكن كثيرا ما تختفى وراء ابتساماتنا وقهقهاتنا استنكارات للنصوص التى نقرأها ، أو استغفارات لله منها •

وامهات الكتب القديمة ، كالاغاني ومعجم ياقوت والف ليلة وغيرها من الكتب التى ينبغى لكل متأدب أن يقرأها ، لا تخلو ـ على فضلهـا وطرافتها ـ من حكايات مطولة عن شعراء المجون وعبثهم وزندقتهم وانحرافهم •

وهذا الكتاب ، دراسة لهذا اللون من الادب ، تصور التيارات التى تخللت تاريخ الأدب العربى في بعض العصور السياسية المضطربة ، ثم تنتهي الى نماذج لطيفة من عصرنا الحالى ، الذى خفت فيه وطأة المجون ، ونشأت فيه ألوان لطيفة وسمحة ومستحدثة من الشـــعر الفكه ، شارك فيها أعلام الشعر المعاصر ، كشوقى وحـــافظ ورامي وغنيم وحسين شفيق المصرى وغيرهم •

١٠ قـــروش